رجل في شرك

باتريك كوينتين

- Author : Patrick Quinten
- Title: The Man in the Net
- Translated by: Aziz Abdalla Salama
- Afaq's first edition: 2019
- Cover Design by: Hossam Al Sawah
- Publishing Consultant: Sawsan Bashier
- General Manager: Mostafa Alsheikh

- المؤلف: باتريك كوينتين
- العنوان: رجل في شرك
- ترجمة: عزيز عبد الله سلامة
- طبعة آفاق الأولى 2019
- تصميم الغلاف: حسام السواح
- مستشار النشر: سوسن بشير
- المدير العام: مصطفى الشيخ

رقم الإيداع:
٢٠١٨ / ١٥٩٠٣
الترقيم الدولي : ISBN
978 - 977-765 - 167 - 7

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form, or by any means without prior permission in writing from the publisher.

Afaq Bookshop & Publishing House

1 Kareem El Dawla st. - From Mahmoud Basiuny st. Talaat Harb
CAIRO – EGYPT - Tel: 00202 25778743 - 00202 25779803 Mobile: +202-01111602787
E-mail:afaqbooks@yahoo.com – www.afaqbooks.com

١ شارع كريم الدولة- من شارع محمود بسيوني - ميدان طلعت حرب- القاهرة - جمهورية مصر العربية
ت: ٢٥٧٧٨٧٤٣ ٠٠٢٠٢ - ٢٥٧٧٩٨٠٣ ٠٠٢٠٢ - موبايل: ٠١١١١٦٠٢٧٨٧

باتريك كوينتين

رجل في شرك

رواية

ترجمة

عزيز عبد الله سلامة

آفاق للنشر والتوزيع

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشؤون الفنية

كوينتين، باتريك.

باتريك كوينتين : رجل في شرك - ترجمة: عزيز عبد الله سلامة

ط1 القاهرة - دار آفاق للنشر والتوزيع - 2019

224 ص، 21 سم.

رقم الإيداع 15903 / 2018

الترقيم الدولي 978 - 977 - 765 - 167 - 7

1 - الأدباء (روايات)

2 - كوينتين، باتريك

كان الأطفال يلعبون عند أطراف الغابة أمام جون هاملتون، حينما كانت سيارة تنحدر وهي تعبر الطريق الموحل.

سمع هاملتون صوت محركها، ولا بد أن إيملي جونز سمعته أيضًا، حيث صاحت فجأة:

- العدو..!

وارتمى الأطفال الخمسة على الأرض، واختبأوا وسط الشجيرات، وألقى جون هاملتون بنفسه على الأرض أيضًا، فقد عرف اللعبة التي يلعبون بها الآن، والتي علمهم إياها.

ذات يوم قال لليوري فيلبس:

- ضع نفسك في مكان الحيوان.. إذا ما شعر بإنسان قادم إلى ناحيته ارتجف، وقال: العدو!

وقالت إيملي جونز:

- سنكون نحن الحيوانات.. وسيكون كل الناس أعداء.. وهم الآن يمارسون تلك اللعبة.. اعتبروا أنفسهم حيوانات والناس أعداء.

ظلوا مختفين وسط الشجيرات وقد استهوتهم اللعبة. ونسي جون هاملتون الخطاب الذي في جيبه، والذي ورد إليه من رينز، ونسي متاعبه مع زوجته لندا.

إن الأطفال يجعلونه دائمًا ينسى همومه.

وكانت السيارة قادمة من ستونفيل، وربما كانت ذاهبة إلى أرشر تاون أو صاعدة في الطريق الموحل المؤدي إلى منزله. ولم تكن مجرد سيارة في نظر جون والأطفال الخمسة حسب اللعبة التي يمارسونها، بل كانت تعني له وللأطفال المختفين خطرًا قادمًا وعدوًّا مجهولًا يهدد ويتوعد.

وبدت السيارة للأنظار، وكانت سيارته السوداء القديمة.. وكانت زوجته هي التي تقودها، وكانت وحدها في السيارة، وكانت تبتسم تلك الابتسامة التي يعرفها جيدًا، والتي تحاول أن تظهر فيها نفسها بسيطة، صريحة، غير معقدة.

عرف أنها كانت في بتسفيلد، وقد ذهبت إلى هناك لكي تكوي شعرها. ولم يكن قد أخبرها بخطاب شارلي رينز؛ لكي يترك لنفسه ساعات للتفكير.

أخذ يرقبها وهو مختبئ،، وقد شعر بالشفقة عليها، وكانت هذه العاطفة تطغي عليه من حين إلى آخر، وقال:

– آه.. لندا المسكينة!

واستمرت السيارة في سيرها، واختفت في الطريق المؤدي إلى

المنزل، وعلا صوت إيملي وهي تقول بنغمة موسيقية:

- أيتها الحيوانات.. يا حيوانات الغابة.. انتهى الخطر، ورحل العدو.

أخذ الأطفال يظهرون من وسط الشجيرات، بك السمين بوجهه الأحمر، وتيمي مورلند، وليوري، وأنجل جونز التي نظرت إلى أختها الكبرى وقالت:

- إنها لعبة سخيفة.. إنه ليس «العدو»، ولكنها مسز هاملتون.. وكلنا نعرفها.

قالت إيملي:

- إنها ليست لعبة سخيفة.. إنها «العدو».. كلهم أعداء.

ونظرت إلى جون وقالت:

- أليس كذلك يا جون؟ كلهم أعداء.. الآباء.. الأمهات.. الزوجات.. وكل الناس!

قال جون وهو يخرج من مكانه:

- بالتأكيد.. على حين أنتم حيوانات.. فهم أعداء.

وشعر بالحرج مما يفعل.. رجل يلعب مع مجموعة من الأطفال!

وأخذ الأطفال يضجون ويصخبون ويمثلون مختلف الحيوانات بأصواتها المختلفة.. وأخيرًا طوقت إيملي جون بذراعيها وقالت:

- جون.. يا عزيزي.. لقد قلت إنك ستأتي للسباحة معنا.

قال تيمي:

- نعم.. لقد وعد بذلك.

وقالت أنجل:

- لقد وعدت.. أيها الشرير السخيف بأنك ستأتي للسباحة معنا.

ووضع ليوري فيلبس يده على يد جون وشبك أصابعه بأصابعه وقال:

- من فضلك يا مستر هاملتون.

اتجه جون نحو الطريق ولوح لهم بيده، وقال:

- غدًا.. سأراكم غدًا يا أطفال..

فهتفوا:

- غدًا.. سنراك غدًا.. لقد وعدت.. غدًا.

اتجه جون هاملتون نحو منزله، ولم يكن بعيدًا. وكان الصمت العميق يسود الغابات التي تحف بجانبي الطريق.. وكان عليه أن يسير حوالي ربع ميل، ثم يعبر قنطرة صغيرة فيصل إلى منزله.

ولم تتركه عاطفة الشفقة نحو زوجته.

إنها تكاد تحن للرجوع إلى نيويورك.

ولكن يجب ألا يخسر المعركة.. يجب أن يكون حازمًا.

* * *

تذكر حينما وقع في حبها.. وجدها وحيدة بلا عائلة ولا أصدقاء،

ووجد أنها لا يمكن أن تساعد نفسها.

ولقد خدعته كثيرًا بعد ذلك.. وأدمنت الشراب، وكانت تشرب سرًّا، ولم تتمكن من الإقلاع عن ذلك. وفي أوقات سكرها كادت تسبب له الدمار. ولكنه في أسوأ لحظات سكرها، عرف أنها كانت تتعذب.

بيد أنها بمساعدته، أمكنها أن تجعل معظم الناس يعتقدون أنها مرحة، محبة، وطيبة.

والآن لقد تحول حبه إلى شيء معقد، فيه مزيج من الخوف من المستقبل، والشفقة والقلق من علاقته بها.

* * *

وصل إلى المنزل الذي كان يبدو منذ ثمانية شهور كرمز لحياتهما الجديدة.. وكانت أشجار التفاح تكاد تخفيه عن الأنظار.

ولما رأى المنزل عاد يفكر.. لماذا يخبر لندا بأمر الخطاب؟ لماذا لا يكتب لشارلي رينز دون أن يدعها تعرف شيئًا عنه؟

إن الأمور سيئة، فلا يجب أن يزيدها سوءًا.

ولكنه أدرك في الحال أنها لا بد أن تعلم آن عاجلًا أو آجلًا.. ربما تكتب لها مسز رينز عن الموضوع، فيكون في تلك دفعة أخرى لها إلى أسفل.

لقد قرر ما سيفعل في موضوع رينز وعرض رينز، ولم يكن متأكدًا من شيء قدر تأكده من هذا.. إذا كان يريد أن يحتفظ بكرامته، يجب

أن يكون صريحًا مع زوجته، متحملًا أي نتيجة تحدث بعد ذلك.

وبدأ يتصور ما سيحدث، وشعر بألم شديد. ولكي يقوي نفسه، فكر في الأطفال الخمسة: إيملي وتيمي وليوري وبك وأنجل، أولئك الأصدقاء الذين جعلوا الحياة محتملة، وأخذ سحر أولئك الأطفال يؤثر فيه.

سار حول منزله حتى وصل إلى الباب الخلفي، حيث وجد سيارة ثانية بجانب سيارته أمام المبنى الذي اتخذ منه «مرسمًا» له.. وعرف أنها سيارة ستيف ريتر والد بك.

وكان ستيف هذا هو أحد الذين يحاولون إغراء زوجته، وكانت تشكو من أنه يأتي إلى المنزل لكي يطلب كوبًا من البيرة، وتقول:

- لا أحب أن أعرف أحدًا من أولئك الوحوش.

حينما قدم جون وزوجته «لندا» إلى ستونفيل أول مرة، وقبل أن يتعرفا بالسكان الأغنياء من أهل القرية، وهم المستر كاري العجوز وابنه وزوجة ابنه وزوجته وآل فيشرز وآل مورلند، دفعت لندا رغبتها الدائمة في أن تنال الإعجاب، إلى أن تتصل بكل هؤلاء وكل أهل القرية وتقول:

- تعالوا في أي وقت.. لسنا أغنياء مدللين.. ولكننا فنان وزوجته يكافحان في الحياة.

ولم يكن جون يرغب في رؤية أحد من معارف لندا، ولذلك ذهب إلى المطبخ، ومنه ذهب إلى غرفة جلوس العائلة.

وكان ستيف واقفًا هناك بقامته الطويلة، وهو معتز بنفسه وكأنه دون جوان. وكان ينظر إلى الغرفة الممتلئة بالأسطوانات وصناديق شرائط التسجيل.. ولما رأى جون قال:

- أهلًا جون.. لديك الكثير من هذه الأشياء.. هل تسمع كل هذه الموسيقى؟

وفكر جون.. لو عرف أهل قرية ستونفيل أنه يرفض عرضًا سخيًّا في نيويورك، ويعتمد على رسومه التي لم يبع منها شيئًا في المعرض الذي أقامه في نيويورك، وعاد بها كما هي، وذلك لكي يبقى في قريتهم، فماذا يقولون؟

قال ستيف:

- لقد كنت في سبيلي لتسليم بطارية إلى آل كاري.. وفي أثناء مروري فكرت في أن أزور زوجتك الجميلة.. إنها في الدور العلوي تجمل نفسها لكي تزداد جمالًا.

وكان ستيف ينظر إليه كعادته نظرة هي مزيج من الاحتقار والغموض، وقد اتجه إليه بوجهه الأسمر الجميل..

واستطرد يقول:

- كيف حال عالم الفن؟ سمعت أنك أقمت معرضًا في نيويورك، ولكنه لم يلاق النجاح المطلوب.

قال جون:

- نعم.. لم يلاق النجاح الذي كنت أتوقعه.

وهكذا أذاعت لندا في القرية نبأ الفشل الذي لاقته رسومه في نيويورك.

وارتمى ستيف على مقعد، ومد رجليه وقال:

– حسنًا يا فتى.. النقود ليست كل شيء.. وهذا ما أقوله دائمًا.. إنك تتمتع بصحة جيدة.. ولديك المال الكافي لكي تشتري لزوجتك بعض الملابس الجميلة.. يجب ألا تطمع في الكثير.. أليس كذلك؟ جون.. ألا تقدم لي قدحًا من البيرة؟

أحضر جون قدحين من البيرة، ووضعها على مائدة قريبة. ولما أحضر زجاجة البيرة من الثلاجة، لاحظ أن زجاجة الجعة وزجاجة النبيذ قد نُقلا من مكانهما إلى الرف الأسفل.. أيخبئ الزجاجتين؟ كلا.. يجب ألا يفعل هذا أمام ستيف.. وستلاحظ لندا أنهما اختفتا.. وستعرف لماذا خبأهما، وهذا مما سيزيد في إثارتها.

يجب أن يتخذ قرارًا حاسمًا مع زوجته مهما حدث بينهما من خصام.

وحينما ملأ قدح البيرة لستيف حدث نفسه: ماذا يظن إذا أخبرته بما يحدث حقيقة في هذا المنزل؟ لن يصدقني طبعًا.. لن يصدقني أحد. لن يصدق السامعون إلا إذا رأوا تصرفات لندا بأعينهم.

أخذ ستيف جرعة كبيرة من قدحه وقال:

– يا فتى.. هل تؤثر فيك البيرة؟ إن قدحين منها يؤثران فيَّ تأثيرًا شديدًا.

وتوقف فجأة عندما سمع صوت لندا وهي تنزل من الدرج، وقفز على قدميه، ونظر إلى الباب مترقبًا، كأنه مراهق ينتظر فتاته الجميلة وقال:

– ها هي ذي.. ها هي ذي الجميلة! ها هي ذي مسز هاملتون الفاتنة!

ودخلت لندا الغرفة وكلها حيوية ونشاط وفي أتم زينتها. وأخذ جون يراقب زوجته وتعجب من خداعها.. أتحب واحدًا من أولئك القرويين؟

كان ستيف ريتر صديقها الحميم، اتجهت نحوه وهي تبتسم ويداها ممدودتان كأنها مضيفة رقيقة تحيي ضيفها.. وكانت تضع في معصمها الأيسر سوارًا ذهبيًّا جميلًا لم يره جون من قبل، لا بد أنها اشترته أخيرًا.

وقالت: ستيف.. كم هو جميل منك أن تزورنا.. اغفر لي هذا التأخير.. إن الذهاب إلى بتسفيلد بالسيارة دائمًا يرهقني، وإذا لم أستحم بالماء البارد مدة طويلة في اللحظة التي أصل فيها إلى المنزل أموت.. آه.. جون.

قالت ذلك، وقد لاحظت في تلك اللحظة فقط أنه هناك.. واتجهت نحو زوجها، وعلى فمها تلك الابتسامة المصطنعة التي تهبها للجميع.. وفي اللحظة نفسها، وضعت يدها اليمنى على معصمها الأيسر، ولاحظ أنها خلعت السوار ووضعته في «جيب فستانها».

وهكذا.. اشترت السوار من بتسفيلد، ولشعورها بالذنب لتبذيرها خبأته.

وقالت: لقد رجعت بسرعة، وكنت أظنك في الخارج تلعب مع الأطفال.

واتجهت نحو ستيف وقالت:

- إن جون عزيز عليَّ.. إنه يعيش من أجل أولئك الأطفال، كان يصلح أن يكون مدرسًا.. أو ما شابه ذلك.. اجلس.. اجلس.. لا تقف من أجلي.

عاد ستيف للجلوس على مقعده، وجلست هي على ذراع المقعد وهي تضحك، وجسمها يهتز وسيجارتها في فمها، وحينما كان جون يراقبها فكر فجأة: هذا كثير جدًّا.. ألا تلمع عيناها زيادة عن اللازم؟ هل شربت في بتسفيلد؟ وشعر بكراهية لنفسه.. يا لتلك الظلال من الريبة والشك التي تساوره ولا تتركه أبدًا.

ولقد لزمت جانب الحياد حينما فشل معرضه الأخير.

وبارح ستيف المنزل، وقد رفض أن يشرب كأسًا ثانية من البيرة، ورافقته لندا إلى باب المطبخ، وسمعها تقول:

- عدني بأنك ستعود لزيارتنا يا ستيف.. إنني أغضب إذا مررت بالبيت ولم تزرنا.

وسمع صوت قبلات، وبعدها سمع صوت الباب وهو يغلق، ولم ترجع لندا مباشرة، لا بد أنها واقفة عند الباب تودعه.

أمسك بكأس البيرة، وجلس على ذراع المقعد.. وعاد إليه الألم والعذاب، إنها اللحظة الحاسمة في حياته.. إذا جبن وتراجع قُضي

عليه إلى الأبد.

ليتها لم تعد للشراب.. وأخذ يفكر.. وشعر باحتقار عظيم قاس نحو نفسه، وتساءل: هل أزعم أنني حزين من أجل زوجتي؟ ماذا دهاني؟ هل أنا خائف منها؟ هل أنا في طريق الانحدار والسقوط؟

* * *

سمع صوت سيارة ستيف وهي تتحرك بجانب جدار «الأُستوديو» حينما رجعت لندا، وكانت السيجارة تتدلى من شفتها السفلى، وكان يبدو عليها شيء من الغضب زال فجأة، وراحت تبتسم، وقالت:

- يا عزيزي.. يجب أن نفكر في التغيير، يجب أن نذهب إلى حفلة آل كاري في الساعة السادسة.

وكان قد نسي حفلة عيد ميلاد فيكي كاري.. ولم تكن لديه أي رغبة في الذهاب إليها، وعبر لها عن ذلك، فأمسكت بمعصمه وقالت:

- انظر يا عزيزي.. انظر إليَّ.. هل تحبني؟ هل تحب طريقة تصفيف شعري الجديدة؟

لاحظ التغيير في صوتها.. آه.. لقد عادت.. تأكد الآن وشعر بقواه تخور، وبدأت هي ترقص في أرجاء الغرفة.

وقالت:

- هناك فتاة جديدة عند مدام هيلين.. لقد صففت شعري للمرة الأولى اليوم، وقالت لي إنها وجدت بعض الشعيرات الرمادية.

ومدت يدها وأمسكت بخصلات من شعرها، وتقدمت إليه وهي تقول:

- يا عزيزي.. انظر.. هل تراها؟ أيمكنك أن ترى الشعيرات الرمادية.. هنا؟

وصمتت ثم عادت تقول:

- أنا لا يمكنني أن أراها.. لا يمكنني. إنها الشمس هي السبب. أليس كذلك؟ أنت تعرف أن الشمس تؤثر على الشعر، وخاصة في أثناء الصيف.

أمكنه أن يرى الشعيرات الرمادية.. كان هناك القليل منها الذي لا يكاد يُرى.

وفكر جون، إنها تحاول أن تبدو جميلة متألقة أمام ستيف وأمام الآخرين، هذا هو السبب. إنها تحاول أن تقنع نفسها أنها لا تزال صبية.

وقال مازحًا:

- تلك الفتاة يجب أن تُضرب بالرصاص.. ليس فيك أي شعرة رمادية.

قالت:

- كأنك لم تلاحظها.. إنك رقيق جدًّا.. ولكنها قالت إنها وجدتها.. إنها قليلة.

وهزت كتفيها وعادت تقول:

- حسنًا! لا يهم. لقد بلغت التاسعة والعشرين من عمري، كثير

من النساء يصبح لهن شعر رمادي قبل أن يبلغن الثلاثين.

وكان عمرها في الحقيقة ثلاثة وثلاثين عامًا.. فقد رأى شهادة ميلادها مرة وعلمت هي أنه رآها، ولكن هذا لم يوقفها عن ادعاء أنها في التاسعة والعشرين من عمرها.

أخرج الخطاب من جيبه، ولم يهتم بالكارثة التي ستحدث، قال:

- لندا.. لقد تلقيت خطابًا من شارلي رينز.

فظلت لحظة صامتة، ثم قالت بلهجة يبدو فيها الشك:

- من شارلي! ولكنك تسلمت البريد قبل أن أذهب إلى بتسفيلد.. لماذا لم تخبرني؟

- وددت أن أفكر بعض الوقت.

- تفكر! تفكر فيم؟ ماذا قال؟

أخرج لها الخطاب وقال:

- هل تريدين قراءته؟

- طبعًا! ولكن اقرأه لي أنت.

نسي أنها تكره أن تلبس النظارة.

أمسك بالخطاب وأخرجه من الغلاف، وقال:

- إنه خطاب طويل.. كعادة شارلي.

وأخذ يقول..

«جولي العزيز...

كيف تسير الحياة معك في الريف؟ لا تظن أننا نسيناك.. ولقد تحدثنا عنك طويلًا بعد ظهر اليوم. وأولًا يجب أن تعلم أننا أسفنا لما لاقاه معرضك الأخير.. ونحن نعرف جيدًا أن أولئك النقاد التافهين لا يعرفون ماذا يقولون، وهم يهاجمونك بدافع الحسد؛ لما لاقاه معرضك الأول من نجاح ساحق..

على أننا نعرف أن هذا سبب لك خيبة أمل، وعلى الأقل من الناحية المادية.. ونعرف أيضًا أنه منذ أن تركتنا سيأتي يوم تفكر فيه في الاعتماد على مورد ثابت.

وأود أن تعرف أننا لا نستغل الفرصة، وهي الوقت الذي تشعر فيه بالضعف.. ولكنني أقول لك إن الأطباء أرغموا هوج على أن يترك العمل كرئيس للقسم الفني، وظللنا عدة أسابيع نبحث عن شخص يمكن أن يقوم بهذا العمل.. وهذا ما دعانا للالتجاء إليك كخير من يقوم بهذا العمل.

إن هذا الخطاب نرجو فيه أن ترجع إلينا، والمرتب الذي يمكننا أن ندفعه لك هو ضعف ما كنت تتقاضى حين تركتنا.. والله يعلم أنني لا أريد أن أتدخل في شؤونك الخاصة، ولكننا نشعر أنك ربما.. بعد مضي ثمانية شهور.. قد تعبت قليلًا من الناحية المالية.

إن لنا الرغبة الصادقة في أن تعود إلى أسرة رينز كفرد من أفرادها كما كنت قبلًا.

فكر يا جون.. ودعنا نعرف بأسرع ما يمكن ما يستقر عليه رأيك، ويمكنك أن تقوم بهذا العمل مع القيام بعمل رسومك من ناحية

أخرى. وإنني أرجو أن تفاجئنا بالحضور إلى المكتب في أحد أيام هذا الأسبوع.. إننا نحب أن نراك على أي حال.

تحياتي إلى لندا..

المخلص..»

وبينما كان يقرأ كانت الأفكار تتوارد على مخيلته..

برغم أن آل رينز يريدون له الخير بهذا العرض المغري، فإن حالة زوجته ستسوء أكثر إذا ما رجعت إلى نيويورك.. إنها كانت تمثل دور الشهيدة لبقائها في الريف، وتشعر أنها مرغمة على البقاء فيه بحكم الظروف، إلا أن هذا الخطاب أوجد لها السبيل إلى الفرار من ذلك المنفى.

وتذكر الطبيب وهو يقول: جون.. إنني أقول لك رأيي.. إذا لم تبتعد عن نيويورك.. فلا أمل فيها من الإقلاع عن إدمان الخمر أبدًا.

وضع الخطاب على المائدة، ونظر إلى زوجته، وتوقع منها أن تنفجر قبل الانتهاء من قراءة الخطاب، ولكنها لم تفعل، بل أشعلت سيجارة أخرى، وظلت واقفة ترقبه بهدوء، وعلى وجهها دلائل اليأس والغضب وقالت:

- إنك لن تذهب.

شعر بالدهش وأحس بالذنب؛ لانه أساء بها الظن، وقال:

- إنك طبعًا تفهمين.

- طبعًا أفهم.. يمكنك أن ترسم.. إن النقاد لم يؤثروا فيك، وأنت

تريد أن ترسم.. وهذا ما تهتم به.

– لا يمكنني الرجوع يا لندا.. إلا إذا متنا من الجوع.. ولم نصل إلى تلك الدرجة بعد.. يمكننا أن نستمر على هذا الحال خمس سنوات على الأقل.. وأنت تعرفين هذا.

لم تعارضه، فرجع إليه حبه القديم وعاطفته الطاغية التي انهارت من قبل، فتقدم إليها ووضع يديه على ذراعيها وقال:

– إن رجوعنا معناه النهاية، إنك تفهمين هذا، أليس كذلك؟ إن ذهابنا معناه أن أشتغل أربعًا وعشرين ساعة في اليوم، ثم أرسم في الوقت نفسه.. وهذا مستحيل.. سأسافر إلى نيويورك غدًا، وأقابل شارلي وأشرح له الموقف، وسيفهم شارلي جيدًا.

وتوقف لحظة، ثم قال ونبرة الإخلاص في صوته:

– لقد قررت هذا.. ولقد قررنا هذا معًا.. ألا تتذكرين؟ وكانت لك الرغبة نفسها.. وكنت تعرفين أن هذا هو الصواب، ليس لي ولكن لك أيضًا.

وتصلب جسدها فجأة وقالت:

– لي.. ماذا تعني؟

– لقد سئمت نيويورك.

– أنا.. سئمت نيويورك! هل أنت مجنون! كانت نيويورك هي الحياة بالنسبة لي.

وانهار كل شيء أمامه.

ثم قالت:

- لم تمر ساعة إلا والحلم يساورني.. أن أرجع إلى منزلي.. وإلى صديقاتي.. وإلى نوع الحياة الذي تعودته.. لم أتكلم.. أصابني اليأس. وما أحببت أن أقول شيئًا الآن.. ولكن حينما تدعي أن هذا من أجلي، وإنك من أجلي قد جررتني إلى هنا.

- لندا.. لم أقل أنني فعلت هذا من أجلك. إنك تعرفين أنني.. أنني قلت...

- لا يهم ما قلت.. لا يهم أبدًا.

وارتعشت شفتها السفلى تحت سيجارتها، وقالت:

- لست بذات أهمية على أي حال.. إنني أعرف هذا.. إنني المرأة التافهة التي تطبخ وتنظف المنزل، وهذه هي وظيفة المرأة في نظرك.. أليس كذلك؟ على حين تذهب أنت وتقفل على نفسك الباب في هذا القفر الموحش وأنت ترسم صورك، وأنت غارق في عالمك الخاص، وفي أوقات فراغك تدأب على النظر إلى صورك الفوتوغرافية، أو تذهب وتهيم في الغابات الملعونة مع أولئك الأطفال الملاعين.

وارتمت فجأة على مقعد، وغطت وجهها بيديها وصاحت:

- آه.. يا للجحيم! يا للجحيم..!

واعتقد هو أن الشراب قد أثر فيها، فضاع كل حبه ونظر إليها، وقد شعر بكراهية نحوها، وصاح قائلًا:

- لندا..!

قالت وهي لا تزال تخبئ وجهها بين يديها:

- تظن أنك تستطيع أن ترسم.. هناك شيء لم أخبرك به.. وما كنت أود أن أقوله، ولكنني سأقوله.. إنك لا تستطيع أن ترسم.. لن تصلح أن تكون رسامًا.. الكل يعرفون ذلك.. اسأل أي واحد.. في ستونفيل.. أي واحدة.. إنهم جميعًا يضحكون منك ومني، يقولون أنت الجميلة الفاتنة...

صارت كمجنونة، وأخذت تقول وكأنها تهذي:

- أنت الجميلة الفاتنة.. لماذا تسجنين نفسك في هذا القفر الموحش؟

وصارت الكلمات تتوالى، خارجة من فمها بلا ضابط.

- كان يمكنني أن أتزوج زوجًا أفضل.. مثل جورج كراستر رئيس شركة جراستر. كان يمكنني أن أتزوج...

وعمدت إلى «البار»، وبلا شعور أخذت تبحث عن زجاجة «الجن».

صاح!

- لندا!

وصاح ثانية:

- لندا..!

تصلب جسمها وقالت بغضب:

- لماذا تصرخ فيَّ هكذا؟

قال:

- لا تفعلي بحق السماء.. لا تفعلي.

- لا تفعلي.. لا تفعلي.. عن أي شيء تتكلم؟

- لندا.. من فضلك.. ومن أجلي لا تعودي للشراب!

ظهر الدهش على وجهها وكأنها صُدمت، وقالت:

- يا إلهي! هل تظن أنني سأتناول شيئًا من الشراب؟ كلا، كنت فقط أريد ترتيب الزجاجات.

لم يتكلم، وإنما وقف وذراعاه إلى جانبه.

وازداد صوتها ارتفاعًا وقالت:

- حسنًا.. هل تتهمني؟ ربما تظن أنني شربت في بتسفيلد، إنني لم أتناول شرابًا منذ بضعة شهور.

وجرت إليه وارتمت بين ذراعيه، واسندت رأسها على صدره وقالت:

- آه.. ساعدني يا جون.. ساعدني يا حبيبي.

وكانت صيحة صادرة من قلبها، وعرف ذلك. لم يكن هذا تمثيلًا.. ولكنه حينما وضع يده على خصرها شعر بألم الحيوان الذي وقع في شرك.

وقال وهو يربت بيده على شعرها:

- لن نستفيد.. رجوعنا إلى نيويورك لن يغير من الأمر شيئًا.

- إنني خائفة جدًّا.

- أعرف ذلك.

- لم أكن أريد أن أقول ما قلت.. لم أكن أريد.

- أعرف ذلك.

- لم يكن كلامي صحيحًا.. ولم أرد أن أقول ذلك.

دب فيه أمل أو ظل من الأمل.. يمكن أن يحاول مرة ثانية على أي حال.

قال:

- هل يمكن أن تكلمي بيل ماك أليستر؟

بدأ جسدها يرتجف بين ذراعيه، وقالت:

- لا.. لن أفعل!

- هذا أفضل.. بيل صديق قديم.

- كفى كلامًا عن ذلك.

وتراجعت وأصابعها لا تزال ممسكة بقميصه، وقد هدأت.

- إنني الآن أحسن.. إنني آسفة يا حبيبي.. كيف قلت ما قلت؟ يمكنك أن تخيب أمل شارلي رينز.. نحن أحسن هنا.. لم أشرب.. بل شربت كأسًا واحدة فقط.. أقسم لك.. إنني الآن أحسن.. لا تنزعج.

ابتعدت عنه قليلًا وهي تبتسم له، وامتلأت عيناها الخضراوان دموعًا.

- يلزمني وقت حتى أعود.. أعطني الوقت الكافي.

ولمست عنقه، وبدت كزوجة استفزت زوجها، ثم انتهى كل شيء إلى سلام. وكان تأثيرها عليه لا يزال باقيًا.

وقالت:

- يا عزيزي.. عليك أن تغير ثيابك.. وأن تذهب إلى فيكي الآن.

- أنا؟ وأنت ألا تذهبين؟

- لا يمكنني الآن.

- إذن لن أذهب.

- يجب أن تذهب أنت.. واحد منا يجب أن يذهب.. ماذا يقولون؟ إنه يوم عيد ميلادها.. وقد اشترينا الهدية، وأعددنا كل شيء.. عبر لها عن حبي، وقل لها إن صداعًا شديدًا منعني من الذهاب.. سأستريح في الفراش وقتًا وستتحسن حالتي.

نظر إلى «البار» واستقرت عيناه على زجاجة «الجن» وبدا صوت لندا سريعًا وحادًّا وهي تقول:

- ثق بي يا جون، ولو مرة واحدة. كم يسرني أن تثق بي.

إنها صرخة من الفؤاد للمرة الثانية.. إذا كلم آل كاري بالتليفون وأخبرهم أنهما لا يحضران كلاهما، فمعنى ذلك أنه لا يثق بها.. وإذا تركها وحيدة.. وإذ ذاك..

اتجه إليها.. وكان في وجهها توسل.

وقالت:

– إنهم يعرفون الصداع المستمر الذي أعانيه.. قل لفيكي إنني لم أكلمها بالتليفون؛ لأنني كنت أرجو أن أتحسن إلى آخر لحظة حتى يمكنني الذهاب.

يجب أن يثق بها.. إذا لم يفعل بعد رجاء صريح كهذا ، فمعنى ذلك انهيار رابطة الزواج بينهما.

وقال:

– هل من الأفضل أن أذهب أنا؟ أهذا هو في الحقيقة ما تريدين؟

– نعم.. نعم.. أقسم لك.. لن.. لن...

– حسنًا.. أين الهدية؟

– إنها في الدور العلوي من غرفة النوم.. وهي مغلفة تغليفًا أنيقًا.. غلفتها أنا نفسي.

وكانت تبتسم ابتسامة سعادة، وطوقت وسطه بذراعيها. وصعدا في الدرج معًا. وتذكر جون أنهما اشتريا «الصينية» معًا لفيكي منذ ثلاثة أيام من متجر لبيع «العاديات».

وارتمت لندا على الفراش في غرفة النوم، وخلع جون ملابس العمل، واستحم، ولما رجع من الحمام كانت لا تزال مضطجعة على الفراش وعيناها مغمضتان.

ارتدى قميصه ورباط عنق «وسترة» ضيقة. وبينما كان يمشط شعره، قالت له بنعومة:

- جون.. جون.. يا حبيبي!

اتجه إليها، وكانت عيناها مفتوحتين، وكانت مادّة ذراعيها إلى أعلى نحوه، فاتجه نحو الفراش.

- قبلني.. يا جون.

انحنى نحوها.. واشتم في فمها رائحة الخمر.

قالت:

- إنني آسفة يا جون.

لا بأس.

- أريد أن تكون سعيدًا.. هذا هو ما يهمني فقط في الحياة، أن تعمل ما تريد، وتعيش الحياة التي تريد أن تعيشها.. كل شيء ما عدا هذا لا يهم.

- أنا متأكد من هذا يا لندا..

وكانت ذراعاها لا تزالان حول عنقه، وقالت:

- يا حبيبي.. إذا كان سيعطيك ضعف ما كنت تتقاضى.. أظن أن المبلغ يكون حوالي خمسة وعشرين ألف دولار.. أليس كذلك؟

- أظن هذا.

وغمغمت:

- ونحن الآن فقراء.. أليس كذلك؟

وربتت بيدها على شعره، وقالت:

- سأضطجع هنا فترة، ثم أقوم لأتناول شيئًا من الطعام.. لا تسرع في الرجوع إلى المنزل.. لا أريد أن تفسد سهرتك بسببي، عبر لفيكي عن حبي.. عبر لهم جميعًا عن حبي.. وعبر لهم عن أسفي لعدم الذهاب.

- سأفعل.

اتجه نحو الباب، وقالت:

- يا حبيبي.. لقد نسيت الهدية.. إنني غلفتها جيدًا.

❊ ❊ ❊

استقل سيارته السوداء ووضع «الصينية»، وهي في غلافها الذهبي المزين بشريط أزرق، على المقعد بجانبه، وانطلق عبر الطريق.

أخذ يحدث نفسه: يجب ألا أنزعج، لقد كان الانزعاج هو عدوه الوحيد.. يوهن قواه.. ويجعله عاجزًا عن المقاومة.. إن ذهابه للحفلة ينسيه لندا ومتاعبها.

عسى أن يعود إلى المنزل ويجدها في أحسن حال.. وقد تحكمت في نفسها فلم تشرب.

وكان منزل فيكي وبراد كاري قائمًا على شاطئ بحيرة شلدون، وهو أجمل موقع في ستونفيل. وكان براد هو الابن الوحيد للمستر كاري العجوز، وقد تزوج فيكي منذ خمس سنوات، وهي فتاة غنية من كاليفورنيا.

وقد أقام المستر كاري العجوز في ذلك المكان مع أسرته التي كانت تصادق أسرة مورلند. وقد نشأ الود بين هاتين الأسرتين وبين لندا.

ذلك الود المتزايد كان يقلق جون، ما عدا ود فيكي وبراد. أما الباقون، فلم يكن يرتاح إليهم.

وعاد القلق إليه مرة أخرى.. وتذكر شوق لندا للذهاب إلى الحفلة.

وصل إلى المنزل القائم على شاطئ البحيرة، وكانت هناك بعض السيارات أمام المنزل، منها سيارة آل كاري الكاديلاك.

خرج جون من السيارة وهو يحمل «الصينية»، ونظر خلفه فرأى ليوري فيلبس ابن الساقي وهو قادم على دراجة، وابتسم الغلام لجون.

- هاي.. مستر هاملتون.

- هاي.. ليوري.

ونظر ليوري إليه وقال:

- لقد سبحنا أنا وإميلي وأنجل وبك وتيمي.

- حقًّا.

- نعم.

وتوقف لحظة، ثم قال:

- إميلي وأنجل لديهما سر.

- أي سر؟

- سر كبير خطير.. هل تظن أنهما يخبرانني به يا مستر هاملتون؟

- قد يفعلان.

- ولكنهما قالا لي إنهما لن يبوحا به، وإنهما لن يخبرا أحدًا به.

وفتح الباب، وبدا ألونزو فيلبس الساقي في معطفه الأبيض، ولما رأى جون قال:

- مساء الخير يا مستر هاملتون.

ورأى ليوري فانحنى إلى الأمام، وقال بخشونة:

- ماذا دهاك؟ ابتعد عن هنا.

ونظر إلى جون وهو مشرق الوجه، وقال:

- أهلا يا مستر هاملتون.. كان ليوري يتسكع هنا منتظرًا إياك حينما علم أنك قادم.. إن هذا الغلام مولع بحبك.. وأعتقد أن باقي الأطفال مثله.. تفضل يا سيدي، إنهم في الشرفة يتناولون الكوكتيل.. ألا تأتي مسز هاملتون الليلة؟

- أصابها صداع أليم.

- آسف.. وخاصة أنها حفلة عيد ميلاد.

وتبعه جون حتى وصلا إلى الشرفة.. وكانت تمتد من أول المنزل إلى آخره، وتطل على بحيرة شلدون. وكان آل كاري جالسين فيها: مستر كاري العجوز المهيب الطلعة، الأصلع الرأس، الضخم الجسم، وكان جالسًا يمسك بكأس المارتيني، وكانت زوجته المدللة الذابلة تجلس على مقعد بجانبه.. وكان براد كاري ابنه ووارثه يمزج الشراب أمام الباب. وكانت فيكي تنظر إلى مائدة في وسط المكان محملة بهدايا عيد الميلاد.

تجاهله العجوز وزوجته زاعمين أنهما لم يرياه كما اعتادا مع من لم يكن عضوًا حقيقيًّا في «بلاطهما» إلى أن تحين الساعة الرسمية لإعلان الحضور. ولوح له براد بيده من البار، وقفزت فيكي نحوه مسرعة وقالت:

– هالو جون.. ما ألطف أن نراك.. أين لندا؟

وكان وجهها القليل الجمال لا تفارقه ابتسامته الطيبة التي كانت تبعث الاطمئنان في جون. ولما قدم الهدية، وأوضح ما يريد إيضاحه قالت:

– لندا المسكينة! ما أتعسها!

وأتى براد الحليق الوجه الناعم البشرة، الباش دائمًا، بكأس من المارتيني لجون. ومن تقاليد آل كاري ألا يسألوك عما تريد أن تشرب، لن يخطر ببال أحد منهم أن أحدًا يرفض كأس مارتيني، وقد مُزج على طريقة آل كاري، ما عدا لندا طبعًا؛ لأنها لا تشرب.

علم الجميع أن لندا لا تشرب، فكان يُقدم إليها عصير الطماطم في أمثال هذه المناسبات.

وقالت فيكي:

– لندا العزيزة قد أصابها مرة ثانية ذلك الصداع!

اتجه براد نحو جون، ونظر إليه بعينيه الزرقاوين وقال:

– يا للمسكينة! كانت في شوق شديد لحضور حفلة عيد الميلاد هذه.. أأنت متأكد أنها لا تستطيع الحضور؟

- نعم.. حينما يصيبها ذلك الصداع يضعفها تمامًا، فلا تستطيع القيام.

وقال المستر كاري لزوجته بصوت مرتفع، وكان يميل إلى لندا كثيرًا:

- يقولون يا عزيزتي إنها لن تحضر.

صاحت مسز كاري:

- صداع! هذا ليس بعذر يمنعها من حضور حفلة عيد الميلاد.

وقالت فيكي:

- إنه الصداع يا أبي.. وهو أمر سيئ.

وقدم جون الهدية لها، فشكرته كثيرًا.

وقال المستر كاري:

- ماذا قدم لها؟

قالت مسز كاري:

- أظن أنها «صينية» يا عزيزي.

وحينما تقدم جون لكي يقدم تحياته الرسمية إلى المستر ومسز كاري العجوزين، علت أصوات في المنزل:

- عيد ميلاد سعيد! يا فيكي الحبيبة!

واندفع إلى الشرفة جوردون وروز مورلند وتيمي وراءهما، وكانت روز تحمل حزمة ضخمة، وكانت تمشي مشية مضحكة،

وكأنما الحمل قد أثقل كاهلها. وكان جوردون يحمل «حزمة» صغيرة.

وحياهم آل كاري بالهتاف والقبلات..

وقالت روز:

– فيكي.. يا حبيبتي.. افتحي «الحزمة» بسرعة.. لقد أحضرنا كل شيء من أوروبا.

– آه يا روز.. ما كان يجب...

وفتحت «الحزمة» الكبرى، فإذا بداخلها ثوب من حرير صقلية المزخرف. وكان «بالحزمة» الصغرى قرط جميل. وذهلت فيكي، وضحك المستر كاري العجوز ضحكة عالية، وتناول الجميع كؤوس المارتيني.

وعرضت الهدايا التي أرسلها آل فيشرز من كاليفورنيا على آل مورلند، وشرح جون لهم السبب في غياب لندا.

وكان من تقاليد أسرة كاري ألا يشترك الأطفال في الحفلات، ولذا خرج تيمي لكي يلعب مع غيره من الأطفال.

وقالت روز:

– يا أسفي على لندا العزيزة! يا مستر هاملتون.

وجلس الجميع على مقاعدهم.

وكان جون يخفي قلقًا عظيمًا على لندا وهو ممسك بكأس الشراب. ودارت المناقشة حول الكارثة التي ستحدث في منطقة البحيرة؛ إذ إن بعض أعضاء مجلس المدينة –وهم يتجاهلون رغبة

آل كاري في احتكار تلك المنطقة الجميلة وحدهم- قدموا اقتراحًا بمشروع إنشاء فنادق سياحية صيفية على شاطئ البحيرة، وسيقترع على هذا المشروع في اجتماع مجلس المدينة.

وقال المستر كاري:

- سنذهب جميعًا إلى اجتماع مجلس المدينة.. حتى أنت يا مستر هاملتون.. صوتك يفيد.. سأضغط على أكثر من نصف أولئك المقترعين.

وتكلموا في موضوعات شتى، ثم ذهبوا لتناول العشاء. وهنا بدأت الفكاهات والضحكات، وقد نسوا موضوع الفنادق السياحية.

وكان جون لا يستريح لتلك الاجتماعات. أما لندا فكانت هذه الاجتماعات هي حياتها وروحها وأملها، كانت تحب أن تشترك فيها وتكون موضع التقدير؛ حتى تشعر بالرفعة وتنسى الفقر الذي تعانيه.

في العام الماضي حينما لاقى معرضه نجاحًا، طلبت منه أن يترك آل رينز، وقد طمعت في حياة أفضل، فيها بذخ ومتعة. لكم تمنت أن يكون جون في عظمة جوردون مورلند.

وبينما كان جوردون يقص بعض القصص المسلية، كان جون يفكر في لندا وهي مضطجعة على فراشها في تلك الغرفة الباردة المظلمة العارية من الأثاث، وتذكر قولها: إنه ضعف ما كنت تتقاضاه من قبل.. سيكون المبلغ خمسة وعشرين ألف دولار.. أليس كذلك؟

هذا المبلغ سيهيئ لها الحياة التي تحبها، والتي تفكر فيها دائمًا.

أدرك الحقيقة.. وصل إلى صميم المشكلة.. كلام معقول.. سيكون جوردون مورلند في صفها، وكذلك المستر كاري.. الكل سيكونون في صفها، ويشاركونها في شعورها.

حاول أن يتخيل ما تعبر عنه تلك الوجوه التي حول المائدة، إذا ما أعلن أنه رفض خمسة وعشرين ألف دولار مرتبًا سنويًّا ثابتًا. وصمم على أن يرسم الصور التي يعتبرها آل كاري فاشلة، ولو أنهم لم يشيروا إلى ذلك علنًا.

وعاد القلق يستبد به مرة أخرى. لماذا فعل ذلك؟ الآن العودة إلى نيويورك معناها الهلاك للندا! إن الدكتور ماك أليستر قد حذره. ولكن إذا كان لديها نقود أكثر وحياة أفضل، ألا يوقفها ذلك على قدميها مرة أخرى؟

وانتهى العشاء. وبعده صمم المستر كاري على مشاهدة فيلم يصور تزحلق آل مورلند على الجليد. وأُزيح الأثاث ونُصبت الشاشة، وأُظلم المكان، وبدأ العرض.

وسمح لتيمي وليوري بمشاهدته.

وسمع جون ضحكة من خلفه في «الصالة».. ضحكة صاخبة مثيرة.. وفكر وقد مر بلحظة قلق أليمة.. هل وصل إلى الدرجة التي يسمع فيها صوت لندا وهي معتذرة! وعادت الضحكة تصل سمعه ثانية، وصوت لندا وهي تنادي بمرح:

– يو.. هو.. هو.. أليس أحد بالمنزل؟

أوقف العرض وهتف جوردون مورلند:

- إنها لندا..

وهتف الباقون:

- لندا! لندا الحبيبة! أنت يا لندا!

- لا تتوقفوا.. أنتم تعرفون أنني أحب أن أشاهد الانزلاق على الجليد.. استمروا..

ورأى جون وجه زوجته وأضواء «الصالة» تنعكس عليه.

* * *

أُضيئت الأنوار، وإذا بلندا واقفة ترتدي «فستانها» الأخضر الجديد، وكانت تسير بحذر.

أصبحت محط الأنظار، وكانت تبتسم، وكانت عيناها تلمعان.

نظر جون إليها بخوف وذعر، وعرف أنها قد وصلت إلى أخطر مرحلة لها حينما تسرف في الشراب؛ إذ تصبح كالعاصفة المدمرة.

وفكر.. كيف بلغت بي الغفلة أن أثق بها. ودب فيه أمل ضعيف، ربما لا يعرفون.. ربما يظنون أنه الصداع.. ليتني أتمكن من إخراجها من هنا بأسرع ما يمكن.

وأخذوا يتجمعون حولها، واندفع نحوها فرأى ورمًا تحت عينها اليسرى ووجنتها اليسرى.. لقد وقعت.. وبدت له في صورة مؤذية وهي واقفة أمام «البار» وبيدها كوب وهي تصب فيه الجن، ثم أخذت تصعد في الدرج.

قالت وهي توزع القبلات بيديها إلى الجميع:

– عيد ميلاد سعيد.. يا فيكي.. عيد ميلاد سعيد يا عزيزي كاري.. عيد ميلاد سعيد يا آل مورلند الأعزاء.. عيد ميلاد سعيد للجميع.

حاول جون الوصول إليها، ولكن فيكي كانت قد طوقتها بذراعيها، وقبَّلت وجنتها، على حين تزاحم الآخرون وراءها، وهم يتحدثون.

وقالت فيكي:

- يا حبيبتي.. هذا مدهش.. لماذا لم تتصلي بالتليفون حتى يذهب براد ويحضرك بالسيارة؟ ماذا فعلت؟ هل سرت على قدميك؟ هل مشيت كل الطريق؟ مستحيل!

- طبعًا مشيت.. مشيت في الغابات.. وددت أن تكون مفاجأة.. لقد وجدت أنه من الغباء أن أمكث بالمنزل لأن...

وانفجرت حينما وقعت عيناها على جون أول مرة.. وكانت نظراتها قاسية، وعرف أن كل مخاوفه قد تحققت.

لا شك أنه بعد أن ذهب، كانت مضطجعة تفكر في الخمسة والعشرين ألف دولار.. وإذ ذاك بدت كراهيتها، وتصورته العدو الذي يحرمها كل ما تشتهيه في الحياة، فنزلت إلى «البار» وقالت محدثة نفسها: إنني شربت.. سأريه الآن، وهذا هو السبب الذي أتت من أجله.. تأكد من ذلك الآن.. جاءت لكي تنتقم منه.

وكان الجميع يراقبونها، وقد لاحظوا حالتها غير الطبيعية.. وكان جون يعرف أن المحظور سيقع ولن يمكنه أن يتلافاه. ولكنه قال بهدوء:

- لندا.. ما كان يجب أن تحضري إلى هنا.. وأنت تشعرين بعناء من ذلك الصداع الأليم!

فنظرت إليه نظرة غضب وقالت:

- صداع! أهذا ما قلت لهم؟ كان يجب أن أخمن هذا.

وتحولت إلى الآخرين وهي تبتسم ابتسامتها المشرقة، وقالت:

- لا تكن أبله.. يا عزيزي.. يا أصدقائي الأعزاء.. ليس عندي صداع، وحالتي على ما يرام، لقد تشاجرنا.. هذا كل ما في الأمر.. مشاجرة بين زوج وزوجته قد تحدث في أي زمان ومكان.

وببطء رفعت يدها إلى الورم الذي تحت عينها ونظرت بانتصار إلى جون وقالت:

- يا لجون الحبيب المسكين! لم يقصد أن يفعل ذلك.. حدث ذلك، وبعد لحظة أدرك فظاعة ما ارتكب، وقرر أنه من الأفضل أن أظل بالمنزل.. لقد ظن أنه مما ينافي الكرامة أن يحضرني إلى حفلة عيد ميلاد فيكي، وفي وجهي تلك الإصابة.

شهق مورلند وزوجته شهقة مكتومة.. وبدا المستر كاري وكأنه أصيب بصاعقة.

وفكر جون: إذن هذه خطتها..

إنها تنوي الغدر به؟

لم يلم نفسه. هؤلاء الناس لا يهمونه في شيء.. إذا كانت تريد أن يظنوا أنه ضربها، فلتذهب هي وهم إلى الشيطان.. كل ما كان يهم هو أن يخرج بها بأسرع ما يمكن.

وقالت:

- يا جون.. من فضلك.. لا تغضب لأني أتيت إلى هنا.. إنني أحبهم ولم أهتم بهذا الورم، وما كنت أطيق أن أبقى بالمنزل ولا أقول لهم: «عيد ميلاد سعيد».

قال:

- حسنًا يا لندا.. ما دمت قد فعلت ذلك، فلنذهب إلى المنزل.

- المنزل؟! هل أنت مجنون؟ لقد وصلت وأريد أن أشاهد الفيلم.. إنني أحب مناظر التزحلق على الجليد.

وأمسكت بيديه.. وأمكنه أن يشعر أنها ترتكز عليه بكل ثقلها وهي تتجه نحو الآخرين وتقول:

- إلى أين وصلت يا عزيزي جوردون؟ إلى صقلية؟

وتجمع الآخرون حولها.. حتى تيمي وليوري.. وأمكنه أن يسحبها من الغرفة بالقوة.

ولكن.. ليتركها تتم لعبتها.. إن الكارثة قد وقعت، فإنها قد أثرت على آل كاري تأثيرًا كاملًا، ولم يكونوا يعرفون أنها تذوق قطرة واحدة من الخمر.

وبدا المستر كاري الكلام، فقال وعيناه تنظران إلى جون:

- أوضحي الأمر يا عزيزتي.. لقد تشاجرتما كما تقولين.. وقد ضربك..

بدا الحزن على براد، وقالت فيكي بسرعة:

- يا والدي العزيز.. الجميع يتشاجرون.. ليس من شأننا أن نتدخل

في أسباب مشاجرتهم.

- إن هذا حتمًا يعنينا.. لندا صديقتنا.. فإذا أصابتها ضائقة...

قالت لندا:

- بحق السماء.. لا تظن أنني ألوم جون المسكين.. إن اللوم يقع عليَّ...

ومدت يدها تطلب سيجارة، فقدم لها جوردون علبة فضية وأشعل سيجارتها.. ونفخت لندا الدخان في الهواء، وابتسمت لجون ابتسامة سريعة وقالت:

- يا حبيبي.. ما كان يجب أن أتكلم.. تكلمت لأنهم رأوا عيني، ولا بد أن يعرفوا السبب.. ولا يجب أن أخفي شيئًا عن أصدقائنا.

وطوقت وسطه بذراعيها.. وشعر بجسمها يهتز غبطة ورضا وقالت:

- يا أحبائي.. دعوني أشرح لكم كيف نعيش.. إن من كان يشتغل معهم جون في نيويورك يريدون منه أن يعود إليهم كرئيس للقسم الفني، بمرتب سنوي مقداره خمسة وعشرون ألف دولار، فضلًا عن السكن، وأوقات فراغ يمكنه أن يشتغل فيها برسومه، وأنتم تعرفون أني أحب الحياة الرغيدة وأحب المال، ولا أطيق الفقر.

وضعف صوتها.. تعبت.. وصلت إلى آخر الشوط.. ولكنها تمالكت نفسها، وعلا صوتها ثانية:

- وهنا تأتي النقطة الهامة التي تظهر محبتي لذاتي.. إن حياة جون

هي التي تهم.. فهو يريد الاستمرار في رسومه غير آبه لرأي النقاد.. وهو يريد البقاء في ذلك المنزل البغيض.. حسنًا هذا هو المهم.. أليس كذلك؟

وهو غدًا سيسافر إلى نيويورك لكي يرفض هذا العرض السخي، وهو لا يحب أن أشكو من ذلك.. فلديَّ أصدقائي هنا.. والحياة تغدو محتملة بهم.. فلدي فيكي وبراد ومورلند وزوجته والمستر كاري والمسز كاري.. الأحباء والحبيبات.

وبدأ فمها يرتعش، ومدت يدها بحركة فجائية بسيجارتها إلى جوردون فأخذها منها، وركضت نحو مسز كاري وارتمت عليها وطوقتها بذراعيها.

- آه.. إنني محبة لذاتي.. كيف أفسد عليكم حفلتكم.. كيف أبعث فيكم الحزن؟ آه.. يا جون المسكين!

وخبأت وجهها في صدر مسز كاري، وسمع صوتها مرة أخرى رقيقًا محزنًا وهي تقول:

- كان يجب أن أمكث في المنزل.. أعرف أنه كان يجب أن أفعل ذلك.. ولكنني حينما مكثت وحدي آلمتني عيني.. وشعرت بالوحدة.. وشربت كأسًا.

ثم ضحكت وقالت:

- وهذا هو السبب في كل ما حدث الآن.. تناولت كأسًا كبيرة من الجن.. إن لندا سكرى.

وانتهت الضحكة بشهقات مكتومة وبكاء.

وفكر جون: جميل.. وفي الوقت المناسب.. أوضحت لهم سبب سكرها.. في اللحظة التي وضح لهم جميعًا أنها سكرى.. وأثارت شفقتهم.. لا داعي للجزع.. فلن تفقد عطف آل كاري، بل جعلتهم كلهم حلفاء لها ومساعدين.

وأمكنه أن يشعر بالغضب تغلي نيرانه في الغرفة.. بدت الكراهية واضحة على وجه المستر كاري، وأصبحت المسز كاري مخيفة كأنها أم تحمي أطفالها، وأخذ آل مورلند ينظرون إليه وكأنهم لم يعرفونه من قبل، وشعر بنفسه كوحش مطارد، ولندا على رأس المطاردين.

كما شعر باحتقار لها واحتقار لنفسه؛ لأنه أخلص لتلك المخلوقة التافهة.. وقف بجانبها يدفعه النبل وتدفعه التضحية لإنقاذها، في الوقت الذي كانت هي في حاجة شديدة إليه.

ونظر إليهم جميعًا نظرة ثابتة متجاهلًا نظرات التحدي، واتجه نحو لندا وقال:

– حسنًا.. لقد تكلمت ما فيه الكفاية.. دعينا نذهب..

شهقت مسز كاري، وصاح المستر كاري وقال:

– لن تأخذ تلك الطفلة المسكينة معك، وتمارس معها التعذيب مرة أخرى.

وقالت مسز كاري:

– كلا.. كلا.. يا لندا.. يا عزيزتي لندا.. يجب أن تذهبي معنا إلى المنزل.

نظرت لندا إليه، ودامت النظرة لحظة، أمكن جون أن يرى فيها السكر والكراهية والتحدي والألم، وكأنها تقول:

- هل تجاوزت الحد هذه المرة؟

وقال:

- هيا بنا..

وعرف أنها ستأتي معه الآن، لا لأنه أعاد سيطرته عليها، بل لأنها نفذت غرضها.

ابتعدت ببطء عن مسز كاري.. ووقفت لحظة وهي تنظر إليها وتبتسم والدموع تلمع في عينيها، وقالت:

- يا عزيزتي مسز كاري.. إنني آسفة جدًّا.. إنني أقدم أسفي للجميع.. لقد سكرت وأفسدت الحفلة.. سأذهب طبعًا مع جون.. إنه زوجي.. ليس لي الحق..

ومشت بسرعة في الغرفة، ولكنها تعثرت وكادت تقع، فهب جوردون لمساعدتها، وصاحت مسز كاري:

- لندا!

أزاحت يد جوردون جانبًا وقالت:

- إنني على ما يرام.. سامحني يا جون.. يا حبيبي جون.. سأنتظر في السيارة.

وسارت في «الصالة».. وقالت فيكي:

- براد.. اذهب وراءها.. وتأكد أنها على ما يرام.

أسرع براد إلى الخارج، وساد المكان صمت عميق، وقال جون:

- حسنًا.. مساء الخير للجميع.

قالت مسز كاري:

- يا للطفلة المسكينة!

وأدار له آل مورلند ظهورهم، وتقدم المستر كاري نحوه وهو في كامل عظمته، ولكن جون كان قد سار إلى الخارج.

سارت فيكي معه، ولما وصلا إلى الباب الخارجي المفتوح، كان براد راجعًا وهو يقول:

- أظن أنها على ما يرام.

وسألت فيكي:

- هل صحيح ما قالته يا جون؟

- نعم.

وقال براد بصوت يدل على عدم التصديق:

- وسترفض ذلك العرض السخي؟

- نعم.

وقالت فيكي:

- لا تتكدر من المستر كاري.. في الحق ليس هذا من شأنهم، افعل ما تشعر أنه صواب.

قال براد:

- نعم.. يجب أن تقرر أنت ما فيه مصلحتك.

نظر جون إليهما وهما لا يكادان يبينان في الظلام.

- آه.. إنه في حاجة إلى أصدقاء.. إلى مساعدين.

أمسكت فيكي بيده، وقبلت وجنته وقالت:

- مساء الخير.. يا عزيزي جون.. كلمنا إذا احتجت إلينا.. إننا نحب لندا.. ونحبك أيضًا.

ووقفا عند الباب يلوحان بأيديهما، واتجه نحو السيارة السوداء.. نحو لندا.

* * *

في أثناء الرجوع إلى المنزل في ظلام الليل، والسيارة تطوي الطريق المحاط بالغابات التي لا تضيئها سوى النجوم، جلست لندا مرتكزة على جانبها في المقعد الأمامي من السيارة، ولم تفه بكلمة، ولكنه كان يشعر بأنها سكرى تمامًا، وأنها تفكر في كيفية الحصول على الشراب مرة أخرى.

حينما يصل إلى المنزل سيضع الشراب في «الدولاب» ويغلق عليه بالمفتاح.. هل دبرت أمر ذلك من قبل، واشترت زجاجة من بتسفيلد وخبأتها في مكان ما؟

وللمرة الأولى شعر جون هاملتون باليأس.. كان الأمل لا يفارقه من قبل.. مهما كانت تصرفاتها.. ولكنه الآن شعر باليأس التام، وانهار كل شيء أمامه، وأدرك أنه لا فائدة من إصلاحها، وأن الأمر خرج من يده، وأنه هُزم تمامًا.

لم يأبه لشيء بعد ذلك، ولا لرأي القرية فيه، وسواء عنده أرجعت لندا للشراب أم لم ترجع.. لم يهتم حتى برسومه.. فلتذهب إلى

الشيطان.. فليذهب كل شيء إلى الشيطان.

وصلا إلى المنزل، وفجأة قالت:

- سأذهب إليهم غدًا وأقول لهم إنني كذبت في اتهامي لك بضربي.

لم يجب، فقالت:

- كنت أحاول أن أشرح لهم وجهة نظري، وليس في هذا خطأ. أليس كذلك؟ إن تجمعهم حولك وهم أصدقائي ضايقني.. أليس لي الحق في أن أبوح لأصدقائي بمكنونات صدري؟

- لندا!

- وكان عليَّ أن أوضح السبب في الورم الذي تحت عيني.. ولكن كان يجب أن أقول إنني وقعت في أثناء سيري في الظلام وسط الغابات.. لم أفكر في ذلك.. ثق أنه لم تأتي الفكرة.. كل ما فكرت فيه هو أن أوضح لهم أن كل الناس يتشاجرون.. والناس يعرفون هذا.. أليس كذلك؟

بدا المنزل أمامهما موحشًا مظلمًا؛ إذ لم تترك النور مُضاء.

قالت:

- حسنًا.. لا أدري لماذا أنت غاضب مني.. إنك دائمًا تقول إنك لا تحبهم.. إنك دائمًا تقول إنهم وحوش.. هذا ما تقوله دائمًا.. لماذا تذهب إليهم؟

أوقف السيارة، فخرجت منها واتجهت نحو باب المطبخ..

فلتذهب إلى الشيطان!

ووضع السيارة في الجاراج، ووقف لحظة ينظر إلى أشجار التفاح، وإذا بصرخة تدوي في الظلام.. نعيق بومة.

ودخل المنزل عن طريق المطبخ المظلم، وكانت غرفة جلوس العائلة مظلمة أيضًا.. ولما أضاء النور نظر إلى زجاجة الجن وزجاجة النبيذ.. لم ينخفض ما فيهما كثيرًا.. هل مزجت الجن بالماء؟ أو هل لديها زجاجة في «الطابق» الأعلى؟ يحتمل ذلك.

أمكنه أن يسمع حركتها فوقه.. جلس على مقعد ولم يمض القليل من الوقت حتى سمع وقع خطواتها وهي تنزل على السلم. ودخلت وكانت قد أفاقت من سكرها.

جاءت وقد مشطت شعرها ووضعت أحمر شفاه على شفتيها، وكان الورم الذي تحت عينها يبدو داكنًا برغم «البودرة».. وكانت تبتسم ابتسامة غامضة.

لم يهتم بها، كان كل شيء قد انهار أمامه.. أكانت تبتسم لأنها تغلبت عليه وخبأت زجاجة في «الدور» العلوي؟

أتت إليه وجلست على ذراع مقعده، وانحنت عليه، وكأنها لم يحدث منها شيء، وقالت:

– ألا تزال غاضبًا مني؟ سأصلح كل شيء.. أعدك. لقد قلت لهم إنني كنت سكرى على أي حال.. من السهل أن أوضح لهم أنني كنت لا أدري ما أقول.. وأن كل شيء قد اختلط أمامي، وأنني كذبت فيما

ذكرت من حادث ضربك لي.

ومرت بيدها على شعره فنهض وقال:

- بحق السماء يا لندا.. دعينا نذهب إلى الفراش.

ابتسمت تلك الابتسامة الغامضة وقالت:

- يا عزيزي.. ستذهب إلى الفراش بعد لحظة.. لديَّ شيء أود أن أقوله لك.

- ها هي ذي بوادر الخطر تبدو..

- إنه شيء مهم جدًّا.. يجب أن تعرف أن هناك أوقاتًا لا يمكن أن يقدر فيها الإنسان الأمور التقدير الصحيح.. يا عزيزي لقد كلمت شارلي رينز بالتليفون.

وقف ينظر إليها وكأنه صعق.

- كلمته بالتليفون.. أخبرته أنك انزعجت بسبب خطابه، فسألني أن أحدد يومًا تسافر فيه لمقابلته.. لقد رتبت كل شيء.. عليك أن تقابله غدًا الساعة السادسة في باريري رووم لتناول الشاي، ثم لتتحدثا معًا.. يمكنك أن تسافر في قطار الساعة الثانية وستصل في الوقت المناسب.

وتذكر قولها:

- ثق بي.. ثق بي ولو مرة واحدة.. إن هذا مهم جدًّا.

ولهذا لم تذهب للحفلة.

وشعر بالغضب يعصف به؛ إذ رآها تنظر إليه وتبتسم ابتسامة احتقار، برغم أنها كانت تحاول أن تفهمه من نظرتها تلك المعاني، ساعدني يا جون العزيز.. إن كل ما أفعله هو من أجلك.

ولكنه تصور نفسه كقطعة من الطين تشكلها كيف شاءت.

في الماضي قالت:

– لقد تعبت من نيويورك.. أريد أن أعيش في الريف.. سأجعله يترك رينز ويل رينز.. والآن هي تفكر: إنني أريد كل تلك النقود.. لقد سئمت من المعيشة هنا.. يجب أن أجعله يرجع إلى هناك.. إن ذهنها حاضر حتى وهي سكرى.

وفكر وهو في غمرة غضبه أن يتصل بشارلي ويخبره أن زوجته كانت سكرى، وإلى الجحيم ذلك العمل، ولكنه أدرك أنه لا يمكنه أن يفعل ذلك. عليه أن يسافر إلى نيويورك بأي طريقة ويسوي الأمور.

وانتابه شعور قوي بأنه أصبح حرًّا في النهاية.

وقال:

– أنت رشيقة ذكية.

– لست كذلك.. ولكنني فقط حساسة.. حساسة من أجلنا جميعًا.. إنني أعرف كبرياءك.. إنك تفضل أن تموت جوعًا ولا تحطم كبرياءك.. إنك تفسد كل شيء بسبب كبريائك.. إنك ترفض العرض الطيب لمجرد أن...

انفجر بركان غضبه، فضربها بيده على فمها، فصرخت صرخة

عالية، ونظرت إليه نظرة يتجلى فيها الدهش والغضب والخوف.

لم يضربها من قبل، ولم يندم إذ ضربها الآن.. بل لقد شعر بالارتياح.

وقال:

- حسنًا.. أردت أن يكون ما قلت عند آل كاري صدقًا.. فلا داعي أن توضحي لهم أي شيء بعد.. هذا ما يجعل في كلامك الماضي شيئًا من الصحة.

قالت:

- لقد ضربتني!

ذهب إلى البار وصب لنفسه كأسًا من النبيذ.

قالت:

- جون!

ووصله صوتها خافتًا مرتجفًا.

قالت:

- جون! هل صممت على.. ألا تقبل هذا العمل؟

نظر إليها وقال:

- قولي رأيك بصراحة.

- ولكن يجب أن تقبل.

وبدا في صوتها ألم شديد.

– يجب أن تقبل.. أخبرت شارلي رينز بذلك.. أخبرته بأنك ستقبل العمل.. وأننا سنسافر إلى نيويورك.. لا يمكنني أن أمكث هنا.. لا يمكنني.. لا يمكنني.

قال:

– إذن اذهبي.. إذا لم تكوني تريدين المكث.. اذهبي.

وقفت وهي تتعثر في «فستانها» الأخضر، وجرت إليه وأمسكت بذراعيه.. وكان يمكن أن يدفعها عنه، ولكنه لم يفعل؛ شعر بأنه قد نال حريته.. لتمسك كما تشاء.. فلن يغير هذا شيئًا.

قالت:

– جون.. قد أكون أخطأت.. وما كان يجب أن أتصل به تليفونيًّا.. لا أعرف.. لم أكن أعرف ماذا أفعل.. إذا كنت قد أخطأت فسامحني.. ولكن مهلًا.. آه لو تعرف...

وطوقته بذراعيها ووضعت رأسها على صدره، وكان شعرها يلمس وجنته، وأمكنه أن يرى على ضوء مصباح المائدة الشعرات الرمادية في رأسها.. وكان جسدها مائلًا عليه مستسلمًا له.. وفكر.. إنها لا تزال تظن أنني مفتون بها.. وإذ ذاك.. ودون سابق إنذار.. شعر بفيض من الشفقة يجتاحه..

قالت:

– جون.. من فضلك أصغ إليَّ.

– إنني مصغ إليك.

- يجب أن تصغي إليَّ.. لا يمكننا أن نمكث هنا أكثر من ذلك، لا تقبل هذا العمل إذا لم تكن راغبًا فيه حقيقة.. ولكننا لا يمكن أن نمكث هنا.. يجب أن نرحل.. يجب أن نذهب إلى مكان آخر.

ورفعت رأسها وأصبح وجهها وفيه العين المتورمة على بعد قليل من وجهه.

وهمست:

- إنه ستيف.. ستيف ريتر.

قال بصوت لا يعني شيئًا:

- ستيف!

- آه.. أردت أن أخبرك.. مرارًا.. وكنت أقول لنفسي: جون هو الذي يمكنه مساعدتي.. ولكنني لم أقدر.. كنت أشعر بالخجل.. إنني..

- لندا!

- ما كنت أريد أن يحدث هذا.

وكانت لا تزال تنظر إلى عينيه نظرة فيها بأس.. وأسى.. وحسرة.

- أقسم لك أنني لم أسقط.. وأنت تعرف هذا.. تعرف أنك الشخص الوحيد الذي أحبه.. ولكن حينما تكون بعيدًا.. وحينما كنت تخرج مع الأطفال، كان يأتي.. أخبرته.. أخبرته بأنني لا أريده.. ولكنه.. ولكنه.. كان يبدو كشيء قوي لا طاقة لي على مقاومته.. وهو.. اليوم.. حينما رجعت من بتسفيلد كان ينتظر.. وقبل أن ترجع.

ودفنت وجهها في صدره، واستمرت تقول:

– إنه كالمرض.. إنه.. كنت في الدور العلوي أستحم.. وإنه.. آه يا جون.. يجب أن تبعدني من هنا.. ستعرف مسز ريتر الأمر.. وأنت تعرف أنها دائمًا ترتاب فيه.. ستعرف الأمر.. وسيعرف الجميع.. آه.. من فضلك.. من فضلك ساعدني.

ستيف ريتر! ولاحت صورة والد «بك» في مخيلته.. ولاحت له النظرة الهازئة المتهكمة التي ينظر بها إليه، وملأه الغضب والشعور بالضعة والاحتقار.. كنت مع الأطفال، ثم ذهبت إلى المنزل – تأخرت عشر دقائق بعد وصولها للمنزل.. إنها تكذب.. إنها نقيصة أخرى من نقائصها.. فشلت كل الأكاذيب، فكان لها من الابتكار أن تخترع تلك الأكذوبة.

وقال:

– ولكن.. يا لندا...

وتوقف.. ما أمر السوار الذهبي الذي كانت تضعه في معصمها بعد ظهر اليوم.. السوار الذي لم يره من قبل، والذي نزعته خلسة من معصمها في اللحظة التي تحققت فيها أنه موجود في الغرفة.. هل قدمه ستيف لها؟ وإذا كان قد قدمه لها.. كلا.. لا تبحث هذا الموضوع الآن.. ما الفائدة؟ ربما تكون أكذوبة، وربما لا تكون. الموضوع لا يهم الآن؛ لأنه عرف ماذا يجب أن يفعل.. وانتزعت بذلك الشفقة من قلبه.

أبعدها عنه، وسار بها إلى مقعد جلست عليه بخضوع وهي تخبئ وجهها بين يديها.

قال:

- حسنًا.. سأخبرك بما سأفعل.. سأسافر إلى نيويورك غدًا.. وسأكلم شارلي رينز.. سأرفض العمل.. ثم أذهب لمقابلة بيل ماك ليستر.

رفعت رأسها بسرعة وقالت:

- لا يا جون.. لا.

- سأخبره بالحكاية كلها.. وسأطلب منه أن يفيدني.. ماذا أفعل؟ وعسى ألا تكوني كاذبة في موضوع ستيف.. وإذا وافق، فسنرحل إلى نيويورك، ويمكن أن يساعدك بيل.. هذه شروطي.. فإذا لم تقبليها فإلى جهنم.. يمكنك أن تحلي أنت مشاكلك.

تجلى الألم على وجهها وقالت:

- ولكنك يا جون تعلم أنني لا أريد أن أذهب إلى طبيب.. لقد أخبرتك من قبل.

- بل ستذهبين.

- لست مريضة يا جون.. هل أنت مجنون؟ ليس بي شيء.. إنك تظلمني.

ونهضت يتجلى على وجهها عناء وتهديد، وقالت:

- إذا واصلت هذا الكلام «الفارغ» الخاص بالطبيب، فسأصعد

إلى الدور العلوي.. وسأشرب.. لديَّ زجاجة مخبأة.. ولن تجدها.. وسأشربها كلها.

عرف حينئذ أنها لعبت بورقتها الأخيرة.. لم تعترف من قبل أنها تشرب سرًّا.. حتى إذا كان قد وجد زجاجتها المخبأة، فلا شك أنها تنكر أنها لها.. كانت الزجاجة المخبأة هي التهديد.. وأخيرًا لقد تكلمت بصراحة.. كانت تنوي التغلب عليه بأي طريقة.. ولكنه لم يبال بها في النهاية، وقال:

- حسنًا.. اذهبي واشربي الزجاجة.

وظن أنها ستفعل.. ولكنها ارتمت على المقعد كامرأة عجوز واهنة وقالت:

- وهكذا لن تقبل العمل!

- كلا.

- ولن تترك هذا المكان، ولو كان بسبب ستيف؟

- لن أصدق كلامك عن ستيف.

ضحكت ضحكة قصيرة جافة، وقالت:

- إنك لا تصدق كلامي.. هذا مضحك.. هذا مضحك حقًّا، مضحك أنك لا تصدق كلامي.

- وستذهبين إلى الطبيب.. هنا أو في نيويورك.

وبدأت تبكي بصوت خافت فيه يأس، وقالت:

– حسنًا.. سألتجئ إلى أي إنسان.. يمكنك أن تتركني.. يمكنك أن تطردني.. ولكن.. إلى أين أذهب؟ ماذا يمكنني أن أفعل؟.. آه.. لن تفعل هذا.. لن تفعل..

وأثر صوتها فيه.. وشعر بالشرك يضيق عليه مرة ثانية.. شعر بأنه لم يصبح بعد حرًّا من أسرها. لقد شعر لحظة من قبل أنه قد أصبح حرًّا وأنه نجا.. ولكن.. يجب أن يساعدها.. وإلا أنبه ضميره إلى آخر لحظة في حياته.

وبدت منهوكة القوى.. وتوقفت عن الكلام، وبدت كأنها تكاد تموت من التعب، وهي مرتمية على مقعدها.

ساعدها لكي تصعد إلى الدور الأعلى.. وخلعت ملابسها وذهبت إلى الحمام، ولم تشرب. كان متأكدًا من ذلك، وصعدت إلى السرير، وبينما كان يخلع ملابسه راحت في نوم عميق.

والآن، رأى أنه في حاجة إلى القليل من الوقت لكي يفكر جيدًا.

وكان وجهها وهي نائمة يبدو مثل وجه طفل.. وكانت تخاف من النوم وحدها.. ربما تستيقظ.

وانزلق إلى مكانه في الفراش وأطفأ النور.

وفكر.. ستيف ريتر!

وعادت إليه الذكرى..

تذكر حينما قابلها أول مرة.. وكانت تسير بين المدعوين في حفلة باركنسون، وهي ترتدي «فستانًا» أبيض.. وشعرها على شكل ذيل

حصان.. وقد بدت تائهة ضائعة خجلة، ولكنها مملوءة حيوية مثل زهرة الربيع.. وكانت تختلف عن الآخرين، وقالت:

- هالو.

- هالو.

- هل تستمتع بالحفلة؟

- ليس كثيرًا.

ونظرت إليه بعينيها الزرقاوين الجميلتين وقالت:

- لا أفهم لماذا يحضر كل أولئك الناس إلى الحفلات! ولكن عالم بلا حفلات! فكر في ذلك.. كم يكون عجيبًا!

واستدار على جنبه الأيسر لكي ينام.. ولكنه مكث مدة طويلة ولم ينم، وأخذ يفكر في الأطفال.

* * *

تجاوزت الساعة السابعة بعد أن ترك القطار شيفلد. وكان جون هاملتون جالسًا بجوار براد كاري وهو مشغول بحل لغز الكلمات المتقاطعة، ونظر من النافذة إلى نيو إنجلند وهي في عتمة المساء، مغطاة بالمروج الخضراء، وكأنها لوحة جميلة رسمتها «ريشة» فنان عبقري.

وهكذا بَعُدَ عن نيويورك، وعادت إليه ذكرى حديثه مع شارلي رينز، وكان قصيرًا أنهى به الموضوع.. وكان شارلي مرحًا وقال:

- أتمنى لك حظًّا سعيدًا.

وهكذا انتهى من رينز وآل رينز إلى الأبد.. ولم يخفف عنه تعب هذه الرحلة سوى أن «براد» معه في الذهاب والإياب وفي الفندق. ولما اتصل ببيل ماك أليستر بالتليفون أخبرته الممرضة أنه في رحلة لكندا لصيد السمك، وسيرجع في نهاية الشهر.

ربما يجد طبيبًا آخر للأمراض العصبية في بتسفيلد.

وكان يتذكر الكلمات التي يود أن يقولها للطبيب وهي: إنني أريد مساعدتك.. إن زوجتي تشرب وهي لا تعترف بذلك.

وتعب ذهنه من التفكير.. سيواجهها بعد قليل.. كيف يكون حالها؟ لقد مر يوم ونصف يوم منذ أن تركها.. ست وثلاثون ساعة فقط. تركها وحيدة في المنزل وهي تعرف ماذا يرتب لها في نيويورك.. هل وصلت إلى الدرجة التي تطلب فيها المساعدة من إنسان آخر؟ هل يجدها مشاغبة تنوي العراك معه، وتبدو أمامه بمظهر العدو الدائم؟

كانت في حالة حسنة حينما تركها وذهب إلى المحطة، وهي التي أيقظته.. شعر بها وهي تلمس كتفه، ولما فتح عينيه رآها، وكانت أشعة الشمس تغمر الغرفة.. وكانت ترتدي «مريلة» المطبخ وتمسك بيديها «صينية»، وهي تبتسم ابتسامة مشرقة.. وقالت:

- لقد أحضرت لك فطورك.

وكانت تضع على عينيها نظارة شمس.. وعجب جون لذلك، ثم تذكر الورم الذي تحت عينها.

- اجلس يا حبيبي.. اعتدل في جلستك.

ووضعت «الصينية» بين ركبتيه.. وكانت تريد أن تثبت أن يديها ثابتتان، وقالت:

- نادني إذا احتجت إلى شيء.

وخرجت من الغرفة، وحينما كان يرتدي ثيابه بعد ذلك، رن جرس التليفون.. وإذا به براد يقول إنه سيسافر إلى نيويورك لعمل، وسأله:

- هل أنت ذاهب إلى نيويورك يا جون؟

- نعم.

- حسنًا.. سأذهب أنا أيضًا.. وأين ستقيم في نيويورك؟

- لا أعرف.. في فندق طبعًا.

- تعالى إلى الفندق الذي سأقيم فيه.. وكانت هذه فكرة فيكي أمس.. كيف حال لندا هذا الصباح؟

- إنها في أحسن حال.

- حسنًا.. سأراك في القطار.. وفيكي تبعث إليك بأطيب تمنياتها، وهي الآن في نزهة حول البحيرة.. لا تقلق من أجل لندا.. كل شيء سيكون على ما يرام.. آه من النساء!

ترك جون السماعة وأخذ «صينية» الفطور إلى المطبخ، ورأى من خلال النافذة لندا وهي تسير ناحية «الأُستوديو»، ثم اختفت.. ثم ظهرت ثانية تحمل «الخرطوم» لكي تروي بعض الأزهار هناك.

ذهب إليها، ونظرت إليه من خلال الأزهار، وابتسمت له ابتسامة مشرقة، وقالت:

- حبذا لو مكثت في «الأُستوديو» أو مع الأطفال.. سأهتم اليوم بتنظيف المنزل.

إنها تريد أن تفهمه أنها ربة بيت ممتازة، وهو متأكد أنها تشرب خفية.

واتجهت نحو المنزل بعد أن تركت «الخرطوم» وقالت:

- هل أنت ذاهب إلى نيويورك؟

- نعم.

– إذن سأبكر في إعداد الغداء.. إذا خرجت مع الأطفال سأعد لك الغداء قبل موعد القطار.

ذهب إلى «الأُستوديو».. وكانت الرسوم والصور معلقة على الجدران.. ولم يجد رغبة في العمل، فقرر أن يخرج مع الأطفال، وأن يسبح في البحيرة، فعاد إلى المنزل وقال:

– سأذهب للسباحة.

وخرج من الباب الأمامي وسار في الطريق. وكان المكان الذي اعتاد الأطفال أن يسبحوا فيه قريبًا.. ولما وصل إلى الشاطئ شاهد دراجات الأطفال هناك، وأمكنه أن يسمع صياحهم وهم يسبحون. ورأته إيملي فجرت نحوه قائلة:

– لقد أتيت.. كنت أعرف أنك ستأتي.

وسحبته نحو البحيرة وهي تجري، ورأى نفسه بينهم، إيملي وأنجل وتيمي وبك وليوري، وشعر بالحب والحنان نحوهم، وبحاجته إلى حبهم وحنانهم.

وحان الوقت الذي يجب فيه أن يرجع لكي يسافر. وقالت إيملي:

– سأخبر جون بالسر.

صاحت أنجل:

– كلا.. كلا.. لا تفعلي.. إنه سري، إنه سري قبل كل شيء.

وظهر عليها الغضب وهجمت على أختها.. وخرج الأطفال الآخرون من الماء وأحاطوا بهما.. وأبعد جون الفتاة الصغيرة عن

أختها، وكانت تناضل بشراسة بين ذراعيه، والغضب يتجلى على وجهها، وقالت:

- لن تعرف السر.. أنت وضيع شرير.. لقد ضربت زوجتك.

قفزت إيملي، وحاولت أن تأخذ أختها من بين ذراعي جون، وقالت:

- أنجل.. هل تجسرين؟

صاحت أنجل:

- لقد فعل.. لقد ضرب زوجته.. قال لي تيمي هذا.. لقد رأى كل شيء.. لقد أتت إلى الغرفة، وتحت عينها ورم كبير، وقالت هي:

- لقد ضربني زوجي..

تركها جون ونظر إلى تيمي.. وكان في حالة حيرة وذهول.. وفجأة ركض مبتعدًا بين الأشجار.

وكانت إيملي تصرخ قائلة:

- ليس هذا صحيحًا.. إنني أكره تيمي.. وأكره أنجل!

تبع جون تيمي فوجده مختبئًا وراء شجرة، وقد ارتمى على وجهه فوق الحشائش وأخذ يبكي.. ركع بجانبه ووضع يده على كتفه.

- لا بأس.. يا تيمي.

- ما كنت أقصد ذلك.. فكرت أنني إذا أخبرت أنجل بسر فستخبرني بسرها.. وقالت إنها ستفعل إذا أخبرتها أولًا.. فتكلمت..

ولم تخبرني بسرها.. وما كنت أقصد.

- حسنًا يا تيمي.. دعنا ننس هذا.. تعال.

ولكن الولد لم يتحرك، وقد ظل مرتميًا على الحشائش وهو يضرب بيديه عليها.

ذهب جون إلى الآخرين، فإذا بالخجل يكسو وجوههم، وهم واجمون صامتون، فتركهم وقفل راجعًا إلى المنزل.

وكانت لندا هناك، مشرقة لامعة كالمعتاد، وقد أعدت له طعام الغداء، وجلست معه وهو يتناوله وهي لا تأكل، وإنما تدخن سيجارة بعد سيجارة، وهي ترقبه من وراء نظارة الشمس وتتكلم عن أشياء تافهة.

وصحبته وهو يحزم متاعه ويستعد للسفر، وقالت:

- يمكنك أن تأخذ السيارة إلى المحطة.. لست في حاجة إليها بأي حال.

ثم أشارت إلى النظارة، وقالت:

- ولا أريد أن أمر في القرية وأنا على هذا الحال.. ولا أريد أن يتحدثوا عنا.

ولم تتكلم حتى وقفت بجانبه وهو يستقل السيارة، وهي تنتظر حتى يسوق ويندفع إلى الأمام، وفجأة قالت:

- جون.. عدني بشيء واحد.. من فضلك.. إنني أوافق على بيل.. ولكن.. لا تذهب إلى أي طبيب آخر، إذا لم يكن هناك. عدني

من فضلك.

نظر إليها، وكان فمها يرتجف، وكان يعرف أنها تعاني عذابًا شديدًا، وهي تبذل مجهودًا جبارًا لكي تتماسك.

قال:

- بكل تأكيد.. وسأعود غدًا مساء.

- نعم.. نعم.. أعرف.

وأخذت تبكي.

- أما ستيف.. فما قلته عنه كان كذبًا.. وكنت أنت على صواب.. لا أدري ماذا دهاني.. لا أعرف.

- حسنًا يا لندا.. إلى اللقاء.

- إلى اللقاء.

ووقفت خارج المطبخ، تلوح له بيديها وهو ينطلق بالسيارة إلى الأمام.

أعلن «الكمساري» اسم المحطة، وتناول براد الحقائب من فوق الرف، ولم يلبث القطار أن وقف، فخرجا، وكانت السيارة السوداء هناك، وفيكي واقفة بجانب السيارة البويك، وكانت تلوح بيديها. ولما وصلا إليها قبلتهما معًا.

وقالت:

- حسنًا يا جون.. هل تممت العمل العظيم؟

- نعم.

ضغطت على يده وقالت:

- ستفهم لندا فائدة عملك.. أنا متأكدة من هذا.

تركهما وساق سيارته ناحية المنزل، وكان يحدث نفسه قائلًا: كل شيء سيكون على ما يرام.. وبدت الأسابيع الثلاثة التي سيغيبها بيل ماك ليستر طويلة أمامه، لقد انتظر سنوات، فلا يضيره أن ينتظر ثلاثة أسابيع.

ولما وصل إلى ستونفيل تذكر أن لندا ليست عندها السيارة، ولم تتسلم البريد.. وكان لا يزال ينتظر ورود مجلة الفن الشهرية التي لا بد أن تكتب نقدًا للوحاته، فتوقف أمام مكتب البريد في وسط القرية.

وكانت مسز جونز تأتي بعد العشاء.. بقي المكتب مفتوحًا إلى الثامنة أو الثامنة ونصف الساعة.. وكان هناك عدة أشخاص في مكتب البريد يعرف اثنين منهما، ولما رآهما قال:

- مساء الخير.

فلم يرد عليه أحد.. وكان صندوق البريد الخاص به بجانب النافذة، حيث وقفت مسز جونز ترتب دفتر الطوابع، ولما أخرج البريد الخاص به، لم يجد المجلة الشهرية، فابتسم لها، ولكنها حملقت في وجهه وعادت تنظر إلى طوابعها، فتحقق أن الجو متغير ومتوتر، وأن حكاية منزل آل كاري قد انتشرت في القرية، وأنه عُرف بضارب النساء، وأنه يقف موقف المذنب أمام القرية كلها.

ولما خرج من مكتب البريد كان فيه صمت كله تهديد.. ورجع إلى السيارة واستأنف المسير. وحدث نفسه قائلًا: لا يهم أنه لم يبذل أي مجهود لاكتساب صداقات في القرية، وليس له أصدقاء ما عدا كاري وزوجته.. كل ما كان يرغب فيه في ستونفيل هو أن يُترك لشأنه.. ولكن لندا رسمت له صورة مفزعة في القرية كلها.

كان يسوق سيارته بين الغابات.. ووصل إلى القنطرة، ثم وقف أمام باب المطبخ، وقد فاجأه شعور غامض بالخوف من زوجته.

ولم تكن لندا في المطبخ.. ومر وهو ينادي: لندا..

ثم ذهب إلى غرفة جلوس الأسرة ووقف كالمصعوق.. كانت الغرفة في فوضى شاملة.. كل صورة كانت منزوعة من الجدران، كل أسطواناته أو صناديقه كانت متناثرة على الأرض وقد تكسرت، كما مُزقت الصور -بوحشية- بمطواة أو سكين، حتى جهاز التسجيل كان مُلقى على الأرض وقد تحطم.

وقف هناك وهو يحملق في هذه الفوضى الشاملة، وهو لا يصدق عينيه.. وأصيب بهلع وهو يتصور لندا وهي تمسك بسكين ووجهها تتجلى فيه وحشية رهيبة، أغمض عينيه لتلك الرؤية الرهيبة، وشعر فجأة أنها في المنزل، وعادت إليه صورتها المفزعة وهي تفعل ذلك.

وفكر.. أين هي؟ يجب أن أجدها.. ورأى الآلة الكاتبة، وكان المعتاد أن توضع في «الأُستوديو»، ولكنها كانت في ركن من الغرفة، وقد أُلصقت بها قطعة من الورق.. فشق طريقه وسط شظايا الأسطوانات والصور الممزقة إلى المائدة، وتناول الورقة، وكانت

مكتوبة بالآلة الكاتبة حتى التوقيع، وكان بها ما يأتي:

ما كنت تتصور أن أفعل ما فعلت.. أليس كذلك؟ وهكذا جعلت من نفسك أبله.. لقد وجدت الشجاعة لأهرب.. ابحث لنفسك عن امرأة أخرى تكون أَمَة لك لكي تعذبها.. ابحث عن أخرى إذا قدرت.. لن تجدني أبدًا.. أتمنى لك الحظ السيئ إلى الأبد.

لندا

❊ ❊ ❊

وهكذا ذهبت.. ووقف ينظر إلى الورقة التي يتجلى فيها جنونها. وبرغم كل ما حدث فقد كان ذهنه يعمل.. لماذا كتبت الورقة على الآلة الكاتبة؟ إنه لا يتذكر أنها كتبت شيئًا على الآلة الكاتبة، ولم يعرف أنه يمكنها أن تكتب على الآلة الكاتبة. لماذا كلفت نفسها عناء الذهاب إلى «الأُستوديو» وإحضار الآلة الكاتبة إلى ذلك المكان؟ ورجعت إليه سورتها وهي تمسك بالسكين وتتلف كل شيء في الغرفة. وفكر: هل حقيقة ذهبت؟ هل هذه الورقة حيلة أخرى من حيلها البغيضة؟ لا بد أنها لا تزال هنا، في مكان ما بالمنزل.

وأخذ يمشي في الغرفة، لقد مزقت الصور، ولم يشعر بالغضب، ولكن بالخوف، طغى عليه خوف رهيب.

وذهب إلى غرفة الطعام ولم يجد أحدًا، ثم صعد في السلالم إلى غرفة النوم، ولم تكن هناك، ووجد باب الصوان مفتوحًا، وأمكنه أن يرى ملابسه معلقة هناك.

طاف بالغرف الأخرى، ثم فكر في الصور الأخرى التي في «الأُستوديو» فركض ناحية باب المطبخ، ووصل إلى الأُستوديو، فوجد أن صورة واحدة منها لم تمس، ولم تكن هي هناك.

هل ذهبت حقيقة ومن دون السيارة ودون أي ملابس؟ ورجع إلى غرفة النوم، وأخذ يبحث وسط الملابس في «الدولاب».. لقد اختفى «فستانها» الأخضر و«سترتها» الرمادية، واختفت أيضًا بعض الملابس الأخرى. ولم تكن هناك الحقيبة الجديدة التي كانت في الرف الأعلى. لقد ذهبت.. خرجت من المنزل ومعها الحقيبة الجديدة.

جلس لحظة على السرير، كانت روح الشر لا تزال تجوس خلال المكان.. هل هو جن؟ هل تصور كل ما حدث تصورًا؟ لقد وقفت بجانب السيارة هناك وهي ترقبه وتكلمه بإخلاص، وكانت على ما يرام. وكان عندها استعداد للتعاون معه، وهي تقول: سأفعل كل ما يقوله بيل.

ولوحت له بيديها وهو يذهب.. كيف حدث ما حدث بعد ذلك؟ التدمير الشامل والورقة.. لن يحدث هذا حتى لو شربت كل ما في المنزل من خمر مخبأة.

نهض وذهب إلى غرفة جلوس الأسرة، كانت زجاجتا الجن والنبيذ لا تزال هناك على مائدة البار، ولم ينقص منهما شيء. تناولهما وأخذ جرعة من كل منهما، كانت لديها زجاجة مخبأة في «الطابق العلوي»، وركض إلى «الطابق العلوي» وأخذ يبحث في كل مكان. وأخيرًا وجد تحت «البياضات» في «الدولاب» زجاجة جن وكانت مملوءة إلى النصف. لا بد أنها شربت نصف الزجاجة قبل أن تذهب.. ربما كانت هناك زجاجة أخرى في حظيرة البقر.

أخذ ينظر إلى الزجاجة وهو لا يراها، ثم أخيرًا وضعها في مكانها،

ولما فعل ذلك رأى بطاقة بريد في مكان الزجاجة.. أمسك بها وكان بها منظر جبال بها غابات وبحيرة.. إنها بحيرة كرولي في كندا.. ونظر خلفها وكانت مرسلة إليه وقرأ الرسالة:

هذه هي الحياة.. لماذا لا تترك الرسم وتطير إليَّ لقضاء بضعة أيام.. تحياتي إلى لندا.

«بيل ماك أليستر»

بيل ماك أليستر! ونظر إلى طابع البريد، لقد أُرسلت منذ خمسة أيام. إذن لقد وصلت منذ ثلاثة أيام. لا بد أن لندا أخذت البريد، ولخوفها من أي شيء يتعلق ببيل ماك أليستر خبأت البطاقة.. إذن لقد كانت تعرف أن بيل لم يكن في نيويورك.. عرفت ذلك في الوقت الذي ظن هو أنه فاز بأكبر نصر عليها.. وكانت تعرف حينما وقفت بجانب السيارة وهي تقول:

– عدني بشيء واحد يا جون.. إذا لم يكن بيل هناك لأي سبب.. إنها واحدة أخرى من أكاذيبها.

رجع مرة أخرى إلى غرفة النوم وجلس على حافة السرير.. وألقى بالبطاقة على الأرض، وشعر بالوهن في جسمه، كأنما قد لدغه ثعبان سام.. لقد تركته يذهب إلى نيويورك وهي تعلم أنه لن يحقق غرضه.

واستند على الوسائد وأشعل سيجارة. لقد عرف أن هذه الأزمة هي أشد أزمات حياته الزوجية، وأن هذا الوقت هو الذي يجب فيه عليه أن يحتفظ بمتانة أعصابه.

لقد ذهبت ومعها حقيبة، دون سيارة، ومن دون نقود. هل لديها نقود؟ هل كانت تدبر هذا منذ شهور، وخبأت لهذا الغرض بعض المال؟ ولكن أين ذهبت؟ إلى نيويورك؟ هل ذهبت إلى قرية ويسكوفش مسقط رأسها؟ ولكن والديها ماتا بعد خمس سنوات من زواجهما.. أين ذهبت؟

هل جنت؟ لقد مزقت الصور وكسرت الأسطوانات، ثم اندفعت إلى «الدور» العلوي وأخذت الحقيبة وانطلقت على قدميها.. إلى أين؟ وبدت له صورتها البائسة وهي تتخبط وسط الحقول والغابات.. يجب أن يبلغ البوليس.

ولكن البوليس في ستونفيل هو ستيف ريتر، وهنا بدت لندا وهي تفسد كل شيء وتجعله مستحيلًا. فإذا أبلغ ستيف ريتر، وإذا حدثه بما حدث، فستعرف القرية كلها أن لندا قد مزقت رسومه وهربت. وفكر فجأة: ماذا يكون شأنهم معي، وقد ذهبت على تلك الصورة.. إلى صديق أو حبيب.. إلى آل كاري مثلًا، ربما يكون ذلك قد حدث. يجب أن أتحقق. ربما تكون قد ذهبت إليهم وقالت لهم: يا أحبائي.. لقد فعلت شيئًا رهيبًا.. كيف أبدأ الكلام؟ لقد تركته.. لا يمكنني أن أتحمله أكثر.. آه لو عرفتم!

نعم.. لا شك أن هذا ما حدث.

نزل إلى الدور الأرضي، واتصل بآل كاري تليفونيًّا. ردت عليه فيكي قائلة: آه يا جون.. نحن ننتظرك.. تعال.

سأل: أليست لندا عندكم؟

- عندنا! كلا. إنني لم أرها منذ تلك الليلة.. هل حدث شيء؟

فكر جون ثم قال:

- سآتي إذا قدرت.

- ولكن...

- سأوضح لك كل شيء حينما أراك.. هل يمكن أن تتصلي بآل مورلند وتسألي إذا كانت هناك؟

- سأفعل الآن.

- حسنًا يا فيكي.. سأراك بعد قليل.

ووضع السماعة. إذا لم تكن عند آل كاري أو آل مورلند، فأين تكون؟

وحينئذ عادت إليه الصورة المخيفة، صورة الوجه المجنون الجائل في البراري والمروج والغابات حاملًا حقيبة.

وهل كانت صادقة في حديثها عن علاقتها مع ستيف، وقد هربت معه؟ ولكنها قالت: إنه مثل المرض.. ولكن ستيف كان معجبًا بها كالكثيرين من أهل القرية. هل هربت مع آخر منهم؟

وقرر أن يسأل ستيف، إن الموقف حينئذ يكون دقيقًا، ولكنه في احتياج إلى بنزين، وسيجس النبض.

وكان الظلام قد ساد، ولما وصل إلى هناك، كانت الأنوار تتلألأ، ووقف أمام «طلمبة» البنزين، وخرجت مسز ريتر وخصلة شعرها الرمادية تتدلى فوق جبهتها، ثم تبعتها زوجة ابنها بتي ريتر، وقد بدا

عليها الكبر قبل الأوان، وقال جون: هل ستيف هنا؟

قالت مسز ريتر: ستيف! لقد خرج منذ دقائق بناء على إشارة تليفونية، آه. ستيف ريتر. ضابط بوليس ستونفيل.. هذا ما يضحكني.. إنه هو الذي يجب أن يُلقى به في السجن.

- تعنين أنه خرج بناء على إشارة تليفونية.. ما هي؟

- لا تسألني.. لا أعرف.. لقد رن جرس التليفون.. ثم خرج ستيف، واستقل السيارة، وأخذ بك معه. ولكنني لا أعتقد أن الأمر خطير.

وضحكت بتي ريتر، ثم وقفت بجوار نافذة السيارة، وهي ترقبه بنظرة تتجلى فيها الكراهية والشر، وقالت:

- تبدو مضطربًا يا مستر هاملتون.. هل يؤنبك ضميرك؟ هل قتلت زوجتك؟

* * *

عاد إلى القرية.. وكانت الأضواء تلمع في المنازل والحوانيت، وقد ازدادت مخاوفه لما سمع من مسز ريتر ومستر ستيف.

إذا كان أحد قد وجد لندا وهي شاردة وسط الغابات وسمع ستيف بذلك، فما كان يأخذ بك معه.. ليس للمكالمة التليفونية شأن بلندا.

ووقف بالسيارة بجانب الكنيسة.. وكانت بحيرة شلدون تلمع في الظلام من انعكاس الأضواء عليها، ونظر إلى البحيرة وفكر ثم تذكر.. لن تجدني.. تلك هي الكلمات التي وجدها في الورقة. هل قفزت إلى البحيرة وانتحرت؟ ولكن لماذا أخذت الحقيبة؟ مهما كان جنونها فهي لن تضع ملابس في حقيبة ثم تخرج لتنتحر.

وازدادت مخاوفه، ولكنه هدأ نفسه؛ إذ فكر أن فيكي لا بد أنها وجدتها عند والدة زوجها، أو عند آل مورلند، وهي تبكي نادمة وتقول: كيف فعلت ما فعلت؟ لا أدري ماذا دهاني؟

وأخيرًا ساق سيارته نحو منزل آل كاري، وكانت أضواء المنزل مضاءة.. ولما خرج من السيارة فتح الباب ورأى فيكي التي قالت:

- أهذا أنت يا جون؟

وتقدمت إليه مسرعة، وأمسكت بيديه، وقالت:

- يا عزيزي جون، ألم ترجع؟

قال:

- هل تكلمت بالتليفون؟

- نعم.. كلمت والدي.. ولم تكن هناك.. وكلمت آل مورلند، ولكن لم يرد أحد. لا بد أنهم ذهبوا للسينما.

وكانت تجذبه ناحية المنزل، ووصلا إلى «الصالة» ونظرت إليه، ولمعت عيناها لحظة وقالت: إنك في حاجة إلى شراب.

وسحبته إلى غرفة جلوس الأسرة، وقالت: براد.. جهز لجون شرابًا.

وكان براد جالسًا في الشرفة، فقام وأعد لجون شرابًا تناوله جون، وقال براد:

- اجلس يا جون.. اجلس.

وجلس جون على الأريكة الطويلة، وقال براد:

- لقد كلمت فيكي والدي وآل مورلند.

قالت فيكي:

- لقد قلت هذا لجون.

وجلس براد على الأريكة، وكان قلقهما وحب استطلاعهما ظاهرين، مما شعر له جون بالارتياح، وأحس أنه حقًّا بين صديقين مخلصين، وقال:

- لما ذهبت إلى المنزل لم تكن هناك، وتركت ورقة..

ولم يفكر وهو يتكلم ويخبرهما بما حدث، هل يصدقان أو لا؛ لأنه كانت هناك فجوة، وهي لندا التي يعرفها هو والتي يعرفانها كما كانت تبدو لهما. هل يمكنه أن يجعل قنطرة فوق تلك الفجوة؟ كل ما عمله هو أن أخبرهما بما حدث: الورقة.. والأسطوانات المهشمة.. واللوحات الممزقة.. والملابس المختفية.. والحقيبة، ولكن كانت الفجوة لا تزال موجودة.

تكلم براد أولًا وفي صوته لهجة عدم التصديق لما يسمع، وقال:

- ولكن يا جون.. لندا تفعل هذا؟

وقالت فيكي:

- إنها رقيقة جدًّا.. هل تتصور أن لندا تؤذي ذبابة؟ إنها تحبك أعظم الحب.. إنك حياتها.. ولوحاتك مقدسة عندها.. لقد قالت لي هذا مرات كثيرة.

وقاطعها براد قائلًا:

- بالتأكيد.. لقد قالت مرة: فليذهب النقاد إلى الجحيم.. سيكون رسامًا عظيمًا.. فكيف يمكن...

ونظر إليهما.. لم يتهماه بالكذب، ولكن لم يصدقا ما حدث، وفجأة بدت له لندا التي لم يعرفها.. لندا التي تتظاهر بحبه أمام الآخرين.

وقالت فيكي:

– لقد تشاجرتما.. والجميع يتشاجرون، ولكن هذا قطعًا لا يؤدي إلى ما حدث.. كانت حزينة فقط.. جون.. لا تظن أننا لا نصدقك.. ولكن لا نتصور أن هذا يحدث من لندا.

وشعر أنه فقد الصديقين الوحيدين في ستونفيل، ولكنه قال وهو يتناول شرابه ببطء:

– إنكما لا تعرفان لندا.. أنا وحدي الذي أعرفها.. لقد ذهبت إلى نيويورك لأستشير طبيبًا هناك.. إنها مريضة.. إنها مريضة منذ زمن طويل.

وأخبرهما بكل شيء.. مقابلتهما لأول مرة.. الفشل.. الإدمان على الشراب.. والتضحيات في سبيلها، ولم يكن يتكلم لكي يستدر عطفهما، ولكنه أدرك في النهاية أنه لم يؤثر فيهما أي تأثير.

من الصعب على من لم يجرب تصرفات مدمن الخمر أن يصدق من يخبره بما يأتي به من تصرفات. وشعر بالثقة في نفسه تقل شيئًا فشيئًا وهو يتكلم، وأخذت الكلمات تتعثر بين شفتيه، وأخيرًا توقف عن الكلام.

وكان الأدب ظاهرًا على وجهيهما كما كان من قبل، ويبدو اللطف في عينيهما. وعرف أنهما لم يصدقاه. وبدأ براد بالكلام فقال:

– إذن لم تضربها حينما كانت هنا تلك الليلة؟

قال جون:

– لم أضربها.. لقد سقطت لأنها كانت سكرى.. وإدمانها الشراب

هو الشيء الذي تخفيه أكثر من أي شيء آخر.

- ولكنها اعترفت أنها كانت سكرى.

- اعترفت بأنها شربت قليلًا.. لكي تستر موقفها.

- إذن لأننا عرفنا أنها كانت سكرى كذبت واتهمتك بضربها.

- بالتأكيد.. وهذا يغطي موقفها، ويجعل منها بطلة، ويبذر بذور الكراهية عندكما ضدي.

وساد صمت، ثم قالت فيكي:

- إذن كانت تمثل أمامنا.

- كل ما عملته كان تمثيلًا.

- إذن هل كان تمثيلًا أنها هربت؟

فكر جون لحظة، ثم قال:

- إذا كانت في منزل والدتك أو عند آل مورلند، فلا شك أن هذا تمثيل.. ولكنها لم تقم بمثل هذا العمل العنيف من قبل.. لا أدري.

وخارت قواه.. فشل في إقناع آل كاري.. إن عليه الآن أن يجد لندا.

وقالت فيكي:

- إذا كانت قد هربت.. فإلى أين ذهبت؟

- لا أعرف..

وقال براد:

- يجب أن نبلغ بوليس الولاية.

وقالت فيكي:

- إذا كان ما تفعله تمثيلًا، فلا شك أنه ستكون هناك فضيحة. ألا يمكن أن نجدها نحن أنفسنا؟

قال براد:

- في الليل! وفي الغابات! أتعرفين مساحة تلك الغابات.. إنها آلاف الأفدنة. يحتاج الأمر إلى فرق كاملة.. وفي النهار..

ونهض، وأشعل سيجارة، وأخذ يسير في الغرفة، وفجأة تحول إلى جون، وكانت نظرات الصداقة والمحبة تتجلى في عينيه وقال:

- لماذا لا تتصل بمنزلك تليفونيًّا؟ ربما تكون قد رجعت.

قالت فيكي:

- يجوز.

- وإذا لم تكن هناك نبلغ «بوليس» الولاية.

وقالت فيكي:

- هذا هو الصواب.

ورن جرس التليفون وأسرع براد للرد.. نعم.. نعم.. كلا.. إنها ليست هنا.. ولكن جون هنا.. هل تريد أن تكلمه؟ حسنًا.. انتظر لحظة.

ونظر إلى جون وهو ممسك بالسماعة، وقال:

- إنه جوردون.. ذهب إلى منزلك.. ولكنه لم يجد أحدًا فكلمنا.

- هل لندا؟

- لم يقل شيئًا..

وتناول جون سماعة التليفون وهو قلق.. سمع صوت جوردون وهو يقول:

- جون.. هل هذا جون؟

- نعم.

- هل لندا معك؟

- لا.

- أين هي؟

وشعر جون بالقلق يطغي عليه، وقال:

- إنها ليست هنا الآن..

- ولكنك تعرف أين هي؟ وهذا ما نود أن نعرفه..

وكان مضطرًّا أن يقول:

- كلا.. لا أعرف.

- إذن يحسن أن تأتي إلى هنا حالًا وتنضم إلينا.. وستيف ريتر..

تذكر الإشارة التليفونية، وقال:

- أين أنت الآن؟

- إنني أكلمك من منزل قريب من منزلك.. ستيف وروز يريدانك في المكان الذي تُلقى فيه قمامة القرية.

- قمامة القرية!

- ألا تعرف المكان؟

- بلى.. أعرفه.. ولكن ما الأمر؟ ماذا حدث؟

- ستعلم حينما تحضر إلى هنا.. هيا الآن.. كما يقول ستيف.. بأسرع ما يمكن.

وسمع جون سماعة التليفون وهي توضع في مكانها.

ولما أخبر آل كاري بذلك، أرادت فيكي أن تذهب معه، ولكنه لم يقبل، ولم يودعه براد إلى السيارة، ولكن فيكي فعلت، وقالت:

- دعنا نعلم يا جون.. وإذا احتجت إلينا..

إذا احتجت إليهم! هل لندا هناك مرتمية في موضع القمامة بالقرية؟

وساق سيارته.. وكان ذلك المكان على بعد ميل.. وكان العالم يبدو أمامه وكأنه كابوس طويل مخيف.. لندا مرتمية في القمامة.. وتذكر تلك الكلمات.. لماذا أنت مضطرب؟ هل قتلت زوجتك؟ كلا.. هذا مستحيل.. كيف تكون لندا مرتمية هناك؟

ولما اقترب من المكان رأى سيارات أمامه على جانبي الطريق وأنوارًا مضاءة، فأوقف سيارته بجانبها وقفز من السيارة.

- جون! جون!

سمع أصوات الأطفال ورآهم يحيطون به.. وصاح بك:

- لقد وجدناها يا جون.. وجدناها.

وقال تيمي:

- كشفناها.

وقال ستيف ريتر بصوت عميق صادر من الظلام كله تهديد:

- جون.. أهذا أنت يا جون؟

اخترق جون نطاق الأطفال، وسار نحوه والظلام يلفه.. وقال ستيف:

- هنا يا جون.. من هنا.

وسار جون وهو يتعثر في الزجاجات والعلب الفارغة. وقال ستيف:

- اصعد إلى هنا يا جون.

وأخذ يجاهد وهو يصعد في كومة من القمامة، وأمكنه أن يميز شبحه وفي فمه سيجارة، ولما وصله لمع ضوء مصباحه الكهربي.

وارتفع صوت ستيف عاليًا مهددًا وهو يقول:

- لقد وجدها الأطفال.. أخبر تيمي آل مورلند.. وبك أخبرني.. ثم استدعاني مستر مورلند.. فكر أنه يمكننا أن نكشف الأمر.

وعلا صوت بك وهو يقول:

- لقد وجدناها.. لقد وجدناها أنا وتيمي.

وقال ستيف:

- ونحن متيقنون منها.. وأنت الذي ستتعرف عليها، وتخبرنا لماذا هي هناك.

وفجأة اتجهت أضواء المصابيح إلى أسفل.. وهناك.. فوق أكوام القمامة كانت حقيبة لندا ملقاة ومفتوحة.

رأى جون الرداء الأخضر.. رداء لندا الجديد.. وبقية الملابس متناثرة بجانب الحقيبة وسط علب الزيت الفارغة.

* * *

نظر جون إلى أسفل وهو يشعر أنه محاط بظلام دامس.. وارتفع صوت روز مورلند وهي تقول:

- إنه «فستان» لندا الجديد.. لا جدال في هذا.. لقد اشترته في الأسبوع الماضي، وأرتني إياه بمجرد شرائه.. وكانت معجبة به.. لا يمكن أن تلقيه هكذا بأي حال.. وهذا هو «فستانها» الرمادي.. وهذه هي أفضل ملابسها.. لقد عرفتها كلها بمجرد أن وصفها تيمي لي.

وارتفع صوت جوردون مورلند وهو يقول:

- روز.. لا شأن لنا بهذا.. إنه عمل ستيف.. إنه يمثل السلطة.. كل شيء من اختصاص ستيف الآن.

وسأل ستيف ريتر:

- حسنًا.. نحن ننتظر الإجابة يا جون.. هل تعرف أن هذه الأشياء وهذه الحقيبة خاصة بزوجتك؟

وكانت عينا جون تحملق في الظلام.. وأمكنه أن يرى فك ستيف

البارز ولمعان عينيه.. وكانت حركات آل مورلند تدل على اتهامه.. الخطر يكمن هنا.. شعر به وكأنه رابض تحت قدميه. يجب أن يكون حذرًا.. إن الأمور تسير الآن من سيئ إلى أسوأ.

أجاب:

- نعم.. كلها خاصة بلندا.

قال ستيف:

- من المضحك أن نفكر أنها ألقت تلك الأشياء الجميلة.. أفضل «فستان» عندها وأشياء غير ذلك.. ألقتها في القمامة!

قالت روزا:

- من الغباء أن نفكر في هذا!

قال جوردون مورلند:

- روز.. من فضلك.

وكانت رائحة القمامة تملأ الأنوف.. إذا كانت حقيبة لندا هنا.. إذن لندا هنا أيضًا.

وأخذ يفكر.. لا يمكن أن يتجنب ما عليه أن يواجهه، وقال:

- لا أعرف أين زوجتي.

صاح جوردون:

- لا تعرف؟!

وصاحت روز:

- أنت..

وقال ستيف ببطء:

- ماذا تقصد بهذا الكلام يا جون؟

- سافرت إلى نيويورك أمس.. وقد قدمت هذا المساء، ولم تكن هناك.. تركت ورقة تقول فيها إنها ذهبت.

قال جوردون:

- ذهبت! إلى أين؟

وقالت روز:

- يا إلهي.. لست أعجب.

- روز!

- حسنًا.. هل تتعجب.. بعد ما حدث تلك الليلة حينما ضربتها.. حينما...

وقاطعها صوت ستيف آمرًا مرتفعًا، وهو يمثل السلطة الحاكمة:

- انتظري لحظة يا مسز مورلند.. لقد تشاجرت أنت ولندا يا جون.. وسافرت إلى نيويورك.. ولما كنت هناك ذهبت.. أهذا كل ما حدث؟

- نعم.. أظن أن هذا هو ما حدث.

- هل أخذت السيارة؟

- لا.. لقد ذهبت بها إلى المحطة.. سقتها أنا.

- هل ذهبت دون سيارة.. كيف؟ ماشية؟

- لا أعرف.. أنى لي أن أعرف!

وساد الصمت لحظة، ورائحة القمامة تملأ الجو.

وقال تيمي فجأة بصوت خافت:

- ماما.. أريد أن أذهب إلى المنزل.

قال ستيف:

- حسنًا.. يمكنك أن تأخذي الأولاد إلى السيارة وتنتظري هناك.

قال بك:

- أريد أن أبقى.

وعاد تيمي يقول:

- ماما.. أريد أن أذهب إلى المنزل.

- خذيهم.. يا مسز مورلند.

قالت روز بصوت كالصراخ:

- ولكن يا ستيف.. ماذا حدث للندا؟

- اجلسي في السيارة يا مسز مورلند.. واهدئي.. خذي الأطفال.

قالت:

- تيمي.. بك.. هيا إلى السيارة كلاكما.

وقال ستيف:

- حسنًا.. ألديك نور كشاف في السيارة؟

- لا.

- مسز مورلند لديها واحد.. تعال معي.. سنبحث.

قال جوردون مورلند:

- ولكن يا ستيف.. لقد بحث الأطفال كثيرًا.. وقد وجدوا الحقيبة.. إذا كانت لندا...

قال ستيف:

- ربما تكون في مكان آخر قريب.

وأضاء ستيف الكشاف وقال:

- حسنًا.. لنبدأ.

وأخذوا يبحثون.. وكان جون يعلم أنهم يبحثون عن جثة لندا.. وكان يتعثر بجوار ستيف، وهو يرقب الكشاف يلقي النور يمينًا ويسارًا.. ولم يتكلم ستيف كلمة، بل بدا يمثل رجل القانون الجاف الصارم.. وتذكر جون كلمات لندا: إنه ستيف.. أنا لا أريده.. ولكنه أقوى مني.

ولم يجدوا شيئًا بعد بحث حوالي ثلاثة أرباع الساعة، فرجعوا إلى موضع الحقيبة وأعادوا الملابس إليها.. وقالت روز:

- حسنًا.. حسنًا.

ذهب زوجها إليها.. وكانت عيناها تلمعان غضبًا وكراهية..

وقال:

– لم نجد شيئًا.. من المستحيل أن نجد شيئًا في الظلام.

تحولت روز إلى ستيف، وهو واقف ممسك بالحقيبة في يده وقالت:

– ماذا تنوي أن تفعل؟ ما يدرينا ما الذي حدث لها؟ يجب أن تعمل شيئًا.

وفكر جون:

– إن لندا زوجتي.. وهم يتجاهلونني كأنني لست على قيد الحياة.

وقالت روز:

– يجب أن نعمل شيئًا.. لقد تركت المنزل دون سيارة.

قال ستيف:

– حسنًا يا مسز مورلند.. يحسن أن تأخذي تيمي إلى المنزل، فقد فات وقت نومه.. سنرى هذا الأمر.. زوجك وجون وأنا.

قالت روز:

– ولكنني أنا شاهدة أيضًا.. إذا كان سيجري أي تحقيق.

إنها تريد أن تسير في المغامرة حتى نهايتها.

قال ستيف:

– لدينا الوقت الكافي.. خذي تيمي إلى المنزل.. وسأرجع لك زوجك بعد قليل.. حسنًا يا مستر مورلند.. هل تريد أن تأتي إلى

السيارة معي.. حسنًا.. هيا.. اتبعني وأنت يا بك إلى المنزل.

وبدأت سيارة ستيف تسير وتبعتها سيارة جون.. وظلت روز في سيارتها المرسيدس، وهي تتقد غضبًا.

ووصلوا جميعًا إلى محطة البنزين.. وكان هناك جمع من الناس أحاطوا بهم، وسمعت كلمات تهكم وسخرية قابلها ستيف بابتسامة، وعرف منها جون شعور أهل القرية نحوه.

ودخل الثلاثة غرفة صغيرة، وأغلق ستيف الباب وراءه، وقال:

- اجلسوا.

وضع ستيف حقيبة لندا على الأرض، وجلس جون على مقعد خشبي، وأشعل ستيف سيجارة، وأخذ ينظر إلى جون من خلال دخانها، وقال:

- دعنا نعرف يا جون ما حدث بعد عودتك من نيويورك.

وحينما تكلم عن اللوحات الممزقة، قال جوردون:

- لندا تمزق اللوحات! هذا مستحيل! الكل يعرفونها.

قاطعه ستيف قائلًا:

- لا يمكنك أن تتصور تصرفات امرأة مضطهدة.. استمر يا جون.

ولم تكف عيناه عن النظر إلى جون وهو يتكلم.. ولما انتهى قال وهو يطفئ سيجارته:

- حسنًا يا جون.. كم من النقود أخذت معها؟

- لا شيء.. إلا إذا كان معها نقود لا أعلم بها.

- - وأين تظن أنها ذهبت؟ نيويورك! كانت تتكلم دائمًا عن نيويورك.. هل لها أصدقاء هناك؟

- لا.. إنها لا تعرف أحدًا في نيويورك.

قال جوردون:

- بل لها الكثير من الأصدقاء.. كانت تتكلم باستمرار عنهم.

قال ستيف:

- حسنًا يا مستر مورلند.. قد تظن أنك تعرف لندا.. وقد أظن أنني أعرفها.. ولكن جون زوجها.. والآن يا جون.. لنترك نيويورك.. ألا تكون قد ذهبت إلى ديسكوفش.. ولكن والديها ماتا.. وليس لها إخوة أو أخوات.. أهذا صحيح؟

قال جون:

- نعم.

وقال جوردون بصوت مضطرب:

- ولكن الحقيبة وجدت بين القمامة.. فما دامت الحقيبة قد وجدت هنا، فلا شك أن شيئًا حدث لها.

قال ستيف:

- بالتأكيد.. أخشى أن يكون قد حدث لها شيء.. وسأبلغ السلطات.

- ليس في وسعنا أن نفعل غير ذلك.

- إذا كان عندك شيء لم تقله، فقله الآن.. هذا هو الوقت المناسب.

- ليس لديَّ شيء آخر أقوله.

- حسنًا.

وربت ستيف على كتف جون، وأمسك بسماعة التليفون واتصل بالكابتن جرين، وعيناه لا تزالان تتابعان جون.. وقال:

- لا تقلق يا جون.. سنجدها.. إننا جميعًا أصدقاؤها.. ونحن نحبها جدًّا.. إن الأمر يهمنا كما يهمك، بل أكثر.

* * *

ومضى جوردون مورلند وزوجته على أن يعودا فيما بعد.. وقال ستيف بعد ذهابهما:

- حسنًا يا جون.. أتوقع أن يأتي الكابتن جرين في أي لحظة.. لنبدأ.

وتناول الحقيبة وسار الاثنان إلى السيارة.. ووصلا إلى الغابات الكثيفة، وكان جون يعلم رأي الجميع بالنسبة إليه.. لقد ألقت لندا الشبكة حوله، وها هو ذا الآن يتخبط في وسطها.

ولما وصلا إلى منزل جون، توقف ستيف عند باب المطبخ، ولم يخرج من السيارة. وكان ينتظر الكابتن جرين ممثل القانون؛ لكي يكون أول من يدخل المنزل.

ووصلت سيارة السلطات.. وخرج ثلاثة في ملابسهم الرسمية، وكان المنزل مظلمًا. وأمكن جون أن يرى شبح الكابتن جرين العظيم، وقال:

- حسنًا يا سيدي.. لندخل.

ودخل الرجال من باب المطبخ وتقدمهم جون وأضاء النور..

وأمكن جون أن يرى الكابتن جرين بوجهه الأحمر وعينيه الزرقاوين اللامعتين، وهو ينظر إليه ويقول:

- زوجة مفقودة.. قال لي ستيف إنها تركت ورقة.. دعنا نر.

قادهم جون إلى غرفة جلوس الأسرة وأضاء النور.. ودلت اللوحات الممزقة والأسطوانات المهشمة على ما حدث.. وعاد الألم إلى جون طاغيًا جبارًا.. ودهش الرجال الثلاثة، وعبر ستيف عن دهشته بالصفير.

قال الكابتن جرين:

- هل فعلت زوجتك هذا يا سيد؟

قال جون:

- نعم.

- أين الورقة؟

تقدم جون وسط هذه الفوضى نحو المائدة التي ترك عليها الورقة بجانب الآلة الكاتبة، وأخذها ووضعها في يد الكابتن الخشنة الكبيرة. وقرأها الكابتن ببطء وإمعان، ثم قدمها لستيف الذي قرأها، وقال جرين للآخرين:

- حسنًا.. ألقوا نظرة في المنزل وما حوله.

ثم تحول إلى جون وقال:

- أين يمكننا أن نجلس؟ نريد مكانًا لم يصل إليه هذا الدمار.

قادهما جون إلى غرفة الطعام، وجلسا على مقعدين بجانب المائدة، وأخرج الكابتن جرين من جيبه «نوتة» وقلمًا، وقال:

– حسنًا.. صفها يا سيد.. الطول.. العمر.. الشكل.. وماذا كانت تلبس؟

وفجأة ضاعت معالم صورة لندا من ذهن جون.. وأخيرًا عاد إليه وعيه وأخذ يدلي بأوصافها.

كتب الكابتن جرين الوصف، وفجأة أمسك بالورقة وأخذ يقرأ:

«ابحث لنفسك عن امرأة أخرى تستعبدها وتخزها بالدبابيس وتعذبها... و....».

وقال:

– يلوح لي أن الأمور لم تكن بينكما على ما يرام.. في هذه الكتابة مرارة كثيرة.. إنها تشعرك بأنك تعاملها معاملة سيئة.

وأمكن أن يسمع جون وقع خطوات رجلي «البوليس» في «الدور» العلوي وقال:

– هذه مبالغة.. وأنت ترى أن زوجتي غير طبيعية.. إنها مجنونة.. وهي مدمنة الشراب.. إنها كانت تشرب منذ...

قاطعه ستيف قائلًا:

– مهلًا يا جون.. قف.. انتظر لحظة.. لقد نسيت شيئًا.. هل نسيت أنني صديق لندا! لندا مدمنة الشراب؟ مهلًا يا فتى.

أخذ الكابتن جرين ينظر إليهما، الواحد بعد الآخر، وقال جون:

– كنت أحاول أن أخفي ذلك يا ستيف.. وهذا هو السبب في أنك لا تعرف.. ولا أحد يعرف.

هز ستيف رأسه وقال:

– عجبًا!

وقال جرين:

– حسنًا.. إذا كانت مدمنة الشراب أو ليست مدمنة.. لقد ذهبت.. لقد اختفت.

ونظر إلى عيني جون واستمر في كلامه:

– حسنًا يا سيد.. لقد تشاجرتما كما يبدو.. لماذا؟ ما سبب الشجار؟

أخبرهما جون عن خطاب شارلي رينز، وعن رفضه عرضه السخي، فصفر ستيف وقال:

– خمسة وعشرون ألف دولار.. يا فتى!

ونظر إلى الكابتن جرين، ونظر الكابتن جرين إليه، وقال الكابتن:

– ولرغبتك في الاستمرار في الرسم، أخبرت زوجتك أنك سترفض العرض.

– نعم.

– ولهذا جنت.

– الأمر معقد أكثر من هذا.

- ولكنك تقول إنها جنت.

- نعم.

- وعرفت أنك ذهبت إلى نيويورك لكي ترفض هذا العمل.

- نعم. ولكن ليس هذا فقط.. إنها عرفت أنني سأستشير بشأنها طبيبًا في الأمراض العصبية.

ضحك الكابتن جرين وقال:

- طبيب أمراض عصبية.. لأنها مدمنة الشراب.. ولأنها جنت لرفضك عملًا يدر عليك خمسة وعشرين ألف دولار.

ثار غضب جون ولكنه فكر.. يجب أن أكون صبورًا.. لا أتوقع أن يفهما بسهولة.. الأمر صعب خطير، وقال:

- كما أخبرتكما.. الأمر معقد جدًّا.. كانت مريضة منذ سنوات.. ولم تكن توافق على أن يفحصها طبيب.. وأخيرًا توصلت إلى أن أجعلها توافق، واتفقت معها على أن يفحصها صديق لي في نيويورك.. الدكتور ماك أليستر.

- وهل قابلت ماك أليستر هذا حينما كنت في نيويورك؟

- لا.. كان في إجازة.

ودخل رجلا «البوليس» في يد أحدهما زجاجة جن، ووقفا عند الباب إلى أن نظر إليهما الكابتن جرين.

وقال رجل «البوليس» الممسك بالزجاجة:

- وجدناها في أحد الأدراج، وكان الدرج مفتوحًا..

قال جون:

- هذه هي الزجاجة التي كانت تخبئها.. وجدتها حينما رجعت إلى المنزل.. فمن عادتها أن تخبئ الزجاجة.

وضع رجل «البوليس» الزجاجة على المائدة.. ولم يقل الكابتن جرين ولا ستيف شيئًا.. وقال رجل «البوليس»:

- وقد وجدنا هذه.. وكانت على أرض غرفة النوم.. ربما تفيد.

وضع يده في جيبه وأخرج بطاقة بريد، وهي البطاقة التي أرسلها بيل ماك أليستر، ومد الكابتن جرين يده وتناولها وقرأها، ونظر ثانية إلى جون وقال:

- أهو بيل ماك أليستر الذي تكلمت عنه؟

قال جون:

- نعم.

- إن طابع البريد يدل على أنها أرسلت منذ خمسة أيام.. أي أنك تسلمتها قبل سفرك إلى نيويورك، وهكذا عرفت أنه لم يكن في نيويورك.

- لا.. لم أتسلم البطاقة.. وجدتها حينما رجعت، لقد خبأتها لندا حيث خبأت زجاجة الجن.. إنها تخاف كل شيء يختص ببيل ماك أليستر لأنه طبيب، لقد أخذتها وخبأتها.

وقال رجل «البوليس» الآخر الذي لم يتكلم:

– يا كابتن.. هل يمكنني أن أريك شيئًا في غرفة جلوس الأسرة؟

ترك الكابتن جرين الغرفة في صحبة رجلي «البوليس»، وظل ستيف جالسًا على مقعده، ورجع الكابتن جرين، ولم يجلس ثانية، بل وقف بهيكله الضخم عند الباب وقال:

– هذه الورقة.. هل كتبتها على الآلة الكاتبة؟

– نعم.

– ليس بها توقيع.. إنها مكتوبة فقط.

– هذا صحيح.

فكر جون.. ليكن حذرًا.. لا تخبرهم عن الآلة الكاتبة.. ولكن الغضب عصف به فجأة، ليذهبوا إلى جهنم، لماذا يرغمونه على التصرف كما لو كان مذنبًا؟ ليخبرهم بالحقيقة. إن الحقيقة هي الأرض الصلبة التي يمكنه أن يقف عليها، إذا كذب الآن.. ابتلعه ذلك الكابوس الرهيب.

قال:

– هذه الآلة الكاتبة تخصني.. وكان مكانها في العادة في «الأُستوديو»، لا بد أنها أحضرتها إلى هنا.

– وهكذا ذهبت إلى «الأُستوديو» وأحضرت الآلة الكاتبة، وكتبت الرسالة دون أن توقعها.. ومع ذلك.. فقد أخبرني جيم أنه وجد هنا بجوار الآلة الكاتبة قلمًا. ألم يكن أسهل عليها أن تمسك بالقلم، وتكتب الرسالة؟ أليس كذلك؟

تملك جون الغضب، وأراد أن يبعد عنه الشك فقال:

- إنني لم أكتبها.. أعرف ما تشير إليه.. لماذا لا تتكلم بصراحة؟ إنني لم أكتب تلك الرسالة.

وشعر بالخطأ الرهيب الذي وقع فيه حينما نطق بتلك الكلمات.. إنه في محاولة الخلاص من الشرك، وقع في الخطأ.. إنه قال ذلك.. إنه هو الذي جلب الشك على نفسه.

وانتهت عند ذلك كل دلائل الأدب التي كان جرين يعامله بها، وتقدم نحوه، ووقف في مواجهته، ونظر إليه، وقال:

- حسنًا يا سيد.. أين زوجتك؟

- لا أعرف.

- كيف وُجدت تلك الحقيبة وسط القمامة؟

- لا أعرف.

- هل كتبت تلك الورقة؟

- قلت لك إنني لم أفعل.

- هل كسرت تلك الأسطوانات؟

- لا.. لم أفعل.

- هل خبأت زجاجة الجن في الدرج؟

وانهالت الأسئلة.. ووقف جرين أمامه وهو يلتهب غضبًا، ثم رجع إلى المائدة وتناول مذكرته وقال:

– حسنًا.. متى ذهبت إلى نيويورك؟

– أمس في قطار بعد الظهر.. وذهب معي براد كاري، ورجع معي أيضًا.

– حينما ذهبت إلى نيويورك، هل قابلت الشخص الذي تقصده بشأن العمل؟

– نعم.

– ما اسمه؟ وما عنوانه؟

قدمهما له جون، فكتبهما الكابتن جرين في مذكرته.

– وهل مكثت ليلة في نيويورك؟

– نعم.. في الفندق الذي قضى فيه براد ليلته فيه.. اسأله إذا أردت.

وذكر جون اسم الفندق، وكتبه جرين في مذكرته أيضًا.

– ورجعت في قطار مساء اليوم؟

– نعم.. مع براد.

– هل أخبرتنا بكل ما تعلم؟

– نعم.

أغلق الكابتن جرين مذكرته، ونظر إلى ستيف، وقال:

– حسنًا.. سأتحقق من كل كلمة قلتها.. والآن.. لنعدّ فرق البحث في الصباح.. لنبحث في جميع أنحاء الغابة، وفي البحيرة، وليتطوع من يشاء من أهل القرية.

قال ستيف وهو لا يزال ينظر إلى جون:

- سأفعل.. ولن نجد صعوبة في إيجاد متطوعين.. الجميع في ستونفيل يحبون لندا.. كلنا نحبها.

- ابدأوا في وقت مبكر جدًّا يا ستيف.

- سنفعل يا كابتن.

وضع الكابتن جرين المذكرة في جيبه، وقال:

- حسنًا.. لا فائدة من البقاء هنا.

واتجه ناحية المطبخ، وتبعه رجلا «البوليس»، ثم ستيف، وأخيرًا جون. وتزاحم الجميع عند باب المطبخ، ولم ينظر أحد إلى جون.

وأخيرًا، ودون تحذير، حملق الكابتن جرين في وجه جون بعينيه الزرقاوين اللامعتين، وقال:

- حسنًا يا سيد.. أخبرنا ماذا فعلت بزوجتك؟

وقال ستيف بابتسامة كلها كراهية وحقد:

- ساعدنا يا جون.. فكر فيما توفره علينا من تعب ومن مصروفات إذا فعلت ذلك.. ماذا فعلت للندا قبل ذهابك إلى نيويورك؟ وبعد أن أثبت وجودك بعيدًا عن الجريمة مع براد.

كان الرجال الأربعة ينظرون إليه، وكأنهم رجل واحد يتحداه.. ويمثل الريبة والشك والاتهام، ويريد له الهلاك.. ويتهمه بأنه هو المذنب.

اتقد لهيب غضبه، ولكنه قال بهدوء:

- اخرجوا جميعًا من هنا.. اخرجوا جميعًا.

قال ستيف بسخرية:

- أتكلم الأصدقاء هذا الكلام؟

اندفع جون نحوه، ولكن جرين حال بينهما بشدة وقوة.

وحمل رجل «البوليس» الشاب زجاجة الجن، وفتح الباب.

وخرج الكابتن جرين وستيف وذراعاهما متشابكتان، يتبعهما رجل «البوليس».

وقف جون عند الباب يرقبهم، ولما ابتعدت السيارة، سمع جون صوت ضحكة ستيف عالية تدوي في الظلام.

* * *

ولم يكن قد تناول شيئًا من الطعام منذ تناول غداءه في نيويورك. ومع أنه لم يكن جائعًا، فقد تذكر ذلك، وشرب كوبًا من اللبن، وذهب إلى غرفة جلوس الأسرة، وبدأ يزيل آثار التخريب وفحص كل شيء بعناية، فوجد أن اللوحات لا يمكن أن تُعالج، وأن كل الأسطوانات قد تحطمت، فجمعها ووضعها جانبًا.

لقد تغيرت حياته في الساعات القليلة الأخيرة.. لقد ذهبت لندا، وتركته يتخبط في كابوس بين أذرع ستيف ورجال السلطة الثلاثة الذين يريدون تحطيمه والقضاء عليه، وهم ينظرون إليه ويقولون: ماذا فعلت بزوجتك؟

وقف بجانب باب «الأُستوديو» يتطلع في الظلام.. ونعقت بومة.. وعرف أنه لن يقدر على الرجوع إلى المنزل، حيث يتذكر جنون لندا والخطر الرابض.. لن يمكنه أن ينام في المنزل.

ودخل «الأُستوديو» والقى بنفسه على أريكة قديمة.. وفكر في لندا، وفي ستونفيل التي ناصبته العداء.. الجميع الآن يتكلمون عنه، وستيف الآن يجمع المتطوعين لتكوين فرق البحث غدًا.

وخُيِّل إليه أن امرأة عجوزًا تهمس قائلة: هل سمعتم يا فتيان عن لندا هاملتون؟ هل سمعتم؟ يقول إنها مجنونة ومدمنة شراب، لقد قتلها جون هاملتون، جون هاملتون قتل زوجته.

واستغرق في النوم بعد قليل، وحلم بستيف ريتر وهو يطارده وسط الغابات، راكضًا على أربع مثل كلب الصيد.

واستيقظ على صوت يناديه باسمه، وفتح عينيه ورأى ضوء الشمس يغمر المكان.. وأجال النظر حوله وتذكر.

وكان صوت ستيف وهو يصيح:

- جون.. جون.. هل تريد أن نصعد ونحضرك؟

نهض من الأريكة وارتدى ثيابه، وخرج من «الأُستوديو»، فوجد ثمانية رجال واقفين يتطلعون إلى أعلى.. إلى المنزل.. وفي وسطهم ستيف.

وكان معهم كلب شرس حالما رآه اندفع نحوه وهو ينبح.. واتجه الرجال نحوه ينظرون إليه، وكأنهم كتلة واحدة، فاعتراه ألم شديد، لا شك أنهم وجدوا لندا.. وجدوها ميتة، وأتوا للقبض عليه.. وأخيرًا.. تحقق أنهم إحدى فرق البحث.

وظل الرجال واقفين وفي وسطهم ستيف.. وكان بعضهم يحمل علبًا فيها طعام الغداء. وسار نحوهم، ولم يتحرك أحد، ولما اقترب منهم، كشر ستيف عن أنيابه وقال:

- هل نمت في «الأُستوديو»؟ لا شك أن المنزل بدا لك موحشًا.

وتوقف لحظة، وهو ينظر إليه نظرة تهديد، وقال:

- حسنًا يا جون.. أظن أنك تعرف هؤلاء الفتيان.. لقد تبرعوا بوقتهم.. وغيرهم فعل ذلك.. إن هذه الفرقة هي إحدى الفرق.. وقد جئنا لنحضرك، وأعتقد أنك جد مشغوف أن تجد لندا.

وبصق أحد الرجال على الأرض، وظل الجميع يحملقون في وجهه.

وقال ستيف:

- هيا يا رجال.. ولكن مهلًا! هل تناولت فطورك يا جون؟

- هذا لا يهم.

- بالتأكيد يهم.. لا يجب أن تخرج بمعدة خاوية.

وتحول إلى الرجال، وقال:

- أليس كذلك؟ يجب أن يتناول قدحًا من القهوة، أو أي شيء.

وكشر الرجال عن أنيابهم، وضحك أحدهم وقال:

- يجب أن يتناول الفتى قدحًا من القهوة.

ألقى ستيف يده الثقيلة على جون، وقال:

- اذهب إلى المطبخ وتناول شيئًا.. سننتظرك.

وقاده إلى المنزل، وجلس الرجال على الحشيش.

شرب جون قليلًا من القهوة وأكل بيضتين، وكان يسمع أصوات تذمر فرقة البحث. وكان الكلب ينبح من حين إلى آخر.

ولما انتهى، خرج من باب المطبخ، ونهض الرجال جميعًا، وقال ستيف:

- حسنًا يا جون.. هل أكلت شيئًا؟ هل أنت في حال حسنة؟

- نعم.

- والآن.. أنت القائد.. قلت إن لندا كانت سكرى.. وخرجت من المنزل ومعها حقيبتها.. والآن.. أي وجهة نتجه؟

وكان في صوته تهكم.. وأحس أنهم يلعبون معه لعبة القط والفأر.. واستمر ستيف في كلامه فقال:

- هذا الطريق كما تعتقد.. أو هذا الطريق.. هناك فرقة أخرى تبحث حول البحيرة حيث وُجدت الحقيبة، هل نبحث وراء الغابات؟

- كما تشاء يا ستيف.

- يجب أن ننتشر في المنطقة كلها.

- أي مكان تشاء يا ستيف.. أنت القائد.

وبدأ البحث، وانتشروا على هيئة مروحة، يسيرون ببطء وسط الأشجار الكثيفة.

ولم يتكلم أحد. ولم يكن جون يخاف من العثور على جثة لندا.. بل كان يخاف من أولئك الرجال.. وكان الصوت لا يزال يدوي في أذنيه:

- ماذا فعلت بزوجتك؟

بحثوا في المنطقة كلها عدة ساعات، وحان وقت الغداء، فتوقفوا وتناولوا الغداء تحت شجرة، وأشعلوا لفافات التبغ، ولما انتهوا قال ستيف:

- هيا يا رجال.

وتابعوا البحث أربع ساعات حتى رجعوا إلى قرب منزل جون، وقد غطى العرق وجوههم وأجسادهم من حرارة الجو.. وكان الكلب يتقدمهم، وأخيرًا وقف الكلب.. فاندفع الرجال إلى الأمام وركض جون مع الآخرين وهو يشعر بغثيان، ووصلوا إلى مكان الكلب في الحال. ووقف ستيف ينظر إلى أسفل، على حين تجمع الآخرون حوله.

نظر جون معهم، والرعب يشتد به.. وفي الوسط وجدوا شيئًا يشمه الكلب.. قطعة ملابس.

أمسك بها ستيف.. إنها «بنطلون» أزرق.. قد احترق الجزء الأسفل منه حتى الركبة، وكان الباقي ملوثًا ببقع مختلفة الألوان من ألوان الرسم.

عرف جون أنه «بنطلونه» الأزرق الذي كان يحتفظ به في «الأُستوديو».. «بنطلونه» الأزرق الذي اختفى من «الأُستوديو» هذا الصباح.

لم يصدق عينيه، من يعمل هذا؟ لا بد أن شخصًا يكرهه كراهية شديدة قد فعل ذلك.. لا شك أن الأمر تم بتدبير شخص آخر غير لندا.

وتجمع الرجال في دائرة حول ستيف، وهو ممسك «بالبنطلون» ناظرين إلى جون، وقال ستيف:

– لقد أحرق بعضهم «بنطلونًا» بقرب منزلك يا جون.

نظر جون إليه محاولًا التغلب على الألم الشديد الذي يعانيه، ليس من لندا.. ولكن ممن..

ونظر ستيف إلى «البنطلون» وقال:

– «بنطلون» أزرق.. به بقع رسم.. ما رأيك يا جون؟ من يحرق «بنطلونًا» أزرق قرب منزلك؟ إنه «بنطلون» رسام بلا شك.

وظلت العيون تحملق فيه.. وضاقت الدائرة حوله، استمر ستيف يقول:

– ما رأيك يا فتى؟ ومقاسه يناسبك.

وساد صمت ثقيل، ثم قال أحد الرجال:

– دعه يلبسه يا ستيف لنرى إذا كان يناسبه.

وضحك الباقون ورفعوا «البنطلون».

وقال جون:

– إنه لي.. لقد بحثت عنه في هذا الصباح في «الأُستوديو»، ولم يكن هناك.. لقد أحضره شخص إلى هنا.

هتف ستيف:

– إنه لك.. إنك تعترف أنه لك.

وقال أحد الرجال:

- ليلبسه.. ليقسه.. كيف نتيقن أنه له.. ربما يكون هناك رسام آخر أحرق «بنطلونه» الأزرق.

وضاقت الدائرة وقال ستيف:

- ولكنه يعترف أنه له.

وعلت الأصوات:

- ليقسه.. ليقسه.

وطرحوه أرضًا.. وخلعوا حزامه.. و«بنطلونه».. وألبسوه البنطلون الأزرق بالقوة، وصاح أحد الرجال:

- إنه يناسبه.. إنه يناسبه تمامًا.

وأخذوا يضحكون في زئير صاخب، وفجأة ساد السكون.

نظر جون إلى ركبتيه العاريتين وهو يتميز غضبًا واشمئزازًا، ثم نزع البنطلون الأزرق وارتدى بنطلونه ثانية.

وتراجع الرجال وقد هدأوا والتقط ستيف «البنطلون» الأزرق وقد اشتعل غضبه لتصرفهم هذا.. ولكنه استعاد سلطانه عليهم.

وانتشر الرجال في المروج عائدين إلى منازلهم، وظل ستيف واقفًا وهو ممسك «بالبنطلون»، ثم نظر إلى جون وقال:

- حسنًا يا فتى.. سأذهب بهذا «البنطلون» الأزرق إلى الكابتن جرين.. وسيتعجب كيف وصل إلى هنا.. وأُحرق.. ولماذا؟ وسيرسل

إلى معمل التحليل، وسيعرفون كل شيء.

وتوقف وهو ينظر إلى جون متحديًا. وكان جون يشتعل غضبًا، لا بد أن أحدًا فعل هذا، هل هو ستيف؟ وتذكر تلك الكلمات: لم أرغب، ولكنه أرغمني، إنه مثل المرض. وفكر وهو ينظر إليه: إنك كنت تحب زوجتي.. لقد قتلتها. وتريد أن تلصق التهمة بي. ولكن هذا ليس صحيحًا.. لم يكن ستيف عشيق لندا.. كانت تكذب كذبة سببها الحقد والكراهية. وعاد إليه الهدوء، ليتذرع بالصدق.. الصدق هو السلاح الذي يقاوم به ذلك الكابوس.

وقال:

– لقد أخبرتك أنني لا أعرف شيئًا عن ذلك «البنطلون» سوى أنه أُخذ من «الأُستوديو»، وليست لديَّ أي فكرة عما حدث للندا.

قال ستيف:

– حسنًا يا جون.. ستسمع من الكابتن جرين اليوم أنك لم تحرق هذا «البنطلون»، ولم تقدم أي مساعدة لفرقة البحث.. على أن كل شيء سيظهر.

وسار وسط المروج و«البنطلون» الأزرق في يده اليمنى.

* * *

ولما وصل جون إلى المنزل كان جرس التليفون يرن.. فكر في ألا يجيب.. ولكنه أخيرًا أسرع إلى التليفون وسمع صوتًا مألوفًا لديه.. صوت رجل وهو يقول:

- هالو.. هاملتون؟

- نعم.

وعرف أنه صوت المستر كاري العجوز، وقال:

- نعم.. يا مستر كاري.

- إنني آسف لما سمعت عن زوجتك يا هاملتون.. آسف جدًّا.. وهذا جد غريب.

وبدأ الصوت قاسيًا وهو يقول:

- إنهم يبحثون عنها.. إنهم يبذلون غاية الجهد.

قال جون:

- صحيح.

- إنني أكلمك بشأن الاجتماع الذي سيعقد الليلة في الساعة

الثامنة.. وسيجري الاقتراع على مشروع الفندق على شاطئ البحيرة.. وطبعًا أنت مؤيد لفكرتنا، وأننا ضد هذا المشروع.. وأرجو أن تنسى سوء التفاهم الذي حدث بيننا، وأن تحضر الاجتماع و«تصوت» ضد المشروع الذي سيضرنا ضررًا بليغًا.

تعجب جون من عقلية الرجل، وهو يطلب منه ذلك، على حين هو يعاني أسوأ الظروف، ولا يفكر في شيء إلا أن إنشاء الفندق على البحيرة يؤثر في منزله.

وخُيِّل إليه أنه يقرأ أفكاره:

«لا صلح بيني وبينه.. ربما يكون ما يقولون عن قتله زوجته صحيحًا.. ربما يكون قد قتل زوجته.. ولكن الاقتراع هو الاقتراع».

وقال المستر كاري:

- إننا نعتمد عليك يا جون.

وسمع صوت سماعة التليفون وهي توضع مكانها.

ذهب جون إلى غرفة جلوس الأسرة، واضطجع على أريكة، وأخذ يفكر.. فكر في لندا.. أين هي؟ ماذا حدث لها؟ ولكن صورتها بدت في مخيلته كدخان في الهواء.

ليحدث ما يحدث.. شعر أن القرية اختارته لكي يقدم كقربان أمام هيكلها.. إن الشبكة تضيق.. الورقة المكتوبة على الآلة الكاتبة.. الحقيبة.. «البنطلون» الأزرق.

لا شك أن أخبار «البنطلون» الأزرق قد وصلت إلى القرية.. أنه

قتلها.. وكان يرتدي البنطلون الأزرق.. وحاول أن يحرقه.. كتب الورقة.. مزق الصور وحطم الأسطوانات.. ثم أخذ الحقيبة بعد أن ملأها بالملابس، وألقاها فوق أكوام القمامة، وذهب إلى نيويورك مع براد؛ لكي يثبت بعده عن مكان الجريمة وقت وقوعها.. لا شك أن هذه هي الأحاديث التي تدور في القرية.. في كل مكان فيها.. وفي كل وقت.. وخُيِّل إليه أن الجموع تتدافع للفتك به.. في غرفة الاجتماع.

هل يهرب ويبعد أميالًا وأميالًا عن ذلك الكابوس؟

ولكن غضبه ألهب فيه نار التحدي.. لتبدأ المطاردة.. وهو أهل لها.. لماذا يتهمونه بجريمة هو بريء من ارتكابها؟ إنه لم يرتكب جريمة.. ليقف أمامهم.. ليهزمهم.. ليذهب إلى ذلك الاجتماع متحديًا إياهم.

ورن جرس التليفون فأسرع إليه.. وسمع صوت فيكي الهادئ الذي امتلأ ثقة، وكأنه بلسم هدأ من ألمه وهي تقول:

– جون.. إنني مشمئزة مما سمعت.. لقد عرفت ما فعل والدي.. إنه حاول أن يدفعك للذهاب إلى الاجتماع الليلة.

قال جون:

– نعم.. لقد كلمني.

– إنه بالتأكيد مخطئ.. لقد جعله موضوع فندق البحيرة يفقد أعصابه.. إنه لم يلق اعتبارًا لشعور الناس.. إنني أعتذر إليك.. وطبعًا لن تلقي بالًا لكلامه.

قال جون وقد عقد العزم:

- سأذهب إلى الاجتماع.

سمع شهقة تعجب، ثم قالت:

- ولكن.. ولكن.. أقصد أنك تعرف حالتهم الآن.. هل تعرف ماذا يقال في القرية؟

قال جون:

- أعرف.. ولهذا سأذهب.. ليس لديَّ ما أخفيه.. لماذا أتصرف كما لو كنت قد ارتكبت جريمة؟

- ولكن.. هل تنوي أن تفعل هذا حقًّا؟ هل حقيقة ستقف أمامهم؟

- لقد قررت ذلك.

- حسنًا.. إذن لتذهب معنا.. أنا وبراد، وفي هذه الحالة قد تجد بعض المعونة.

طغى عليه عرفان الجميل والمحبة وقال:

- ولكن.. يا فيكي.. براد...

- لا تكن غبيًّا يا عزيزي.. إذا كنت ستذهب، فلن يتركك براد تذهب وحيدًا.. ولن أتركك أنا.. تعال إلى هنا الآن لنتناول شيئًا من الطعام معًا.. ثم نذهب معًا أيضًا.

استحم وأبدل ملابسه وقاد سيارته نحو منزل آل كاري.. وهناك وجدهما في غرفة جلوس الأسرة.. ولم يتغير سلوكهما نحوه.. ولم

يشيرا إلى الموضوع بكلمة.. ثم ذهبوا لتناول العشاء.

كانا يعطفان عليه.. وشعر بهذا العطف.. وأحس أنهما يتألمان لرجل ألقاه القدر في مأزق.. حكم عليه بالإدانة قبل أن يُحاكم.. وكانوا يشربون القهوة حينما ارتفع صوت روز مورلند في «الصالة» وهي تقول:

- هل أنتم مستعدون أيها الأعزاء؟

وظهرت بالباب.. ولما رأته تراجعت.. ووقف جون وقال:

- آسف.. إذا كنتما قد اتفقتما على الذهاب مع آل مورلند.

وبدا براد حزينًا، وقالت فيكي بسرعة:

- لا.. لم نتفق على شيء.. لقد جاءت فجأة.. تلك المرأة السمجة.

وانتهوا من شرب القهوة، ودقت الساعة الثامنة حينما وضع براد قدحه، وهو يتجنب نظرات جون، وقال:

- هذا أحسن ما يمكن عمله.

- حسنًا.. ونحن معك.

وتحول إلى فيكي وقال:

- هل أنت مستعدة؟

- نعم.

- حسنًا.. السيارة في الخارج.. لنذهب.

وتوجهوا بالسيارة إلى القرية، ولما وصلوا تركوها وساروا في الظلام قاصدين قاعة الاجتماع، وأمكنه سماع حديث الرجال، ورؤية دخان السجائر يتصاعد في الفضاء.

وخرجوا من الظلام حيث الأضواء، وحيث الناس يتجمعون، وأمكن أن يرى جون ستيف ريتر واقفًا في شارع رئيس يحافظ على النظام. وكان أحد الرجال يضحك، ولما رأى براد ظل يضحك وقال:

- كيف حالك؟

ولما رأى جون كفّ عن الضحك، وكف الآخرون عن الكلام، واقتربوا منهم في دائرة، وتجمع آخرون، وسمع شهقة امرأة وهي تقول:

- إنه هو.. إنه المستر هاملتون.. المستر هاملتون.. هاملتون.

واستمر هذا لحظة، وكان براد واقفًا أمامه.. وفيكي بجانبه، ولما تقدم براد إلى الأمام اندفع الرجال نحوه صائحين: هاملتون.. هاملتون.

وتعالت الهمسات حولهم.. ونظر براد إلى جون، وغمغم قائلًا:

- ربما لم تكن فكرتك حسنة.

قال جون:

- لا بأس.

ودخلوا من الباب، وساروا إلى القاعة المضاءة بالأنوار.

وبدا المنظر واضحًا أمام جون، أن أهل قرية ستونفيل مجتمعون في «صالة» الاجتماعات وحول أعمدتها. وازدحم من في الخارج وراءهم. ودُفع جون نحو فتاة لم يرها من قبل، وكانت واقفة بجانب أحد الأعمدة، فتحولت لتنظر إليه وضاقت عيناها من الدهشة وشهقت، وتحولت كل الوجوه نحوه وعلت ضجة، ثم ساد صمت عميق.

ولم يلحظ كاتب المدينة العجوز ذلك، بل ارتفع صوته وهو يقول:

– أعتقد أنكم جميعًا تعرفون الغرض من اجتماعنا هنا.. وأنكم قد استقر رأيكم.. وقبل الاقتراع ليتكلم من أراد الكلام.

وتوقف.. فقد راعه ذلك الصمت المطبق.. وشعر أن شيئًا غير معتاد يحدث.. فرفع رأسه عن أوراقه، ونظر حوله ليعرف السبب. ورأى جون فتدلى فكه وصمت كالآخرين.. ولم يكن هناك سوى عيون تنظر إلى جون كلها برق وكراهية وتهديد.. وكان يعرف كل ذلك.. فقابلها بتحد وامتلأ ثقة بنفسه؛ لأنه شعر أنه يحتقرهم لصغر عقولهم.. وعاد إليه احترامه لنفسه.

وارتفع صوت طفل وهو يصيح:

- هاملتون!

وتردد الصدى من أفواه الجميع في همس كالزئير الخافت:

- هاملتون!

وتمالك كاتب المدينة نفسه، وضرب المائدة بمطرقته، واستمر في كلامه، فقال:

- بصفتي كاتب المدينة أعلن فتح باب المناقشة.

ورفع المستر كاري العجوز يده، فقال الكاتب:

- المستر كاري.

وقبل أن يفتح المستر كاري فمه للكلام، سمع صوت رجل وهو يقول:

- لديَّ سؤال.. أين مسز هاملتون؟

وعلت في الحال الأصوات كالزئير الصاخب:

- أين مسز هاملتون؟

- أين هي؟

- أين مسز هاملتون؟

- أين هي؟

وارتفع الصياح، وأخذ الكاتب يضرب المائدة بمطرقته دون جدوى.

ونظر جون إلى فيكي وبراد، فرأى براد وقد كسى وجهه لونًا رماديًّا، والتقت عيناه بعيني فيكي فرأى فيهما نظرات مشجعة، مما ساعد على اشتعال نار غضبه واحتقاره لهم جميعًا. وخفت الزئير وعدم وساد الصمت، ورفع جون ذراعيه إلى أعلى وقال:

- حسنًا.. إنني لم آت إلى هنا لكي أجيب عن أسئلة.. إنني أتيت إلى هنا لأحضر الاجتماع، ولي الحق في هذا كأي مواطن آخر، ولكن إذا أراد أي واحد منكم أن يسألني عن زوجتي.. فليتقدم.

وما كانوا يتوقعون ذلك.. فساد صمت كله حيرة وارتفع صوت المستر كاري وهو يقول:

- هذه فوضى.. إننا مجتمع مهذب.. لقد أتينا إلى هنا..

ولكن فجأة قاطعه صوت آخر مرتفع.. صوت رجل:

- أين مسز هاملتون؟

وأمسكت امرأة واقفة بجانب جون ذراعه بيدها بعنف، حتى كادت أصابعها تنغرس في لحمه وصاحت:

- أين مسز هاملتون؟

وساد صمت عميق، وخلص جون ذراعه من قبضة المرأة، قال:

- لا أعرف أين هي؟

- إنه لا يعرف.. يقول إنه لا يعرف.

وارتفع صوت شاب وهو يقول:

- لماذا وُجدت الحقيبة في القمامة؟

اتجه جون نحوه وقال:

- لا أعرف السبب في هذا.

- لماذا أحرقت «بنطلونك» الأزرق في المروج؟

وعلا الصخب والضجيج مرة أخرى.

وصاح جون:

- إنني لم أحرق «البنطلون» الأزرق، لا بد أن أحدًا...

واستمر الضجيج والصراخ.. وشعر أن الجميع ضده بلا استثناء.. وعلا صوت امرأة تصيح:

- مستر هاملتون.. هل قتلت زوجتك؟

جن الجميع.. واندفع أحد الرجال نحوه.. ولكن براد ضربه قبل أن يضربه جون.. وأصبح الجميع كتلة واحدة متدافعة، وصاحت امرأة، وشعر ببراد يمسكه من ذراعه ويقول:

- يجب أن نخرج من هنا.

أراد جون أن يمكث ويقاتل، ولكنه أدرك أن براد على حق.. لقد تحداهم «أراهم أنه ليس بخائف منهم» وفي هذا كفاية.. فاتجه ناحية الباب.. وتقدمته فيكي وهي تبذل مجهودًا هائلًا؛ لكي تتقدم، وهجم رجل آخر على جون ولكنه دفعه.. وناضلت فيكي وهي تتقدم ناحية الباب، وتقدم ثلاثة رجال نحو جون، ولكن فيكي أحاطته بذراعيها، كأنها درع تحميه. وأمكنه أن يرى ستيف ريتر أمامه وهو قادم من

الخارج.. وإذ ذاك عاد الهدوء إلى «الصالة»، وناضل الاثنان حتى وصلا إلى ستيف.. ولما تجاوزاه كشر عن أنيابه وقال:

- حسنًا يا جون.. كان من الأفضل أن تمكث في المنزل.

قالت فيكي بغضب:

- كان يمكنك أن تمنع كل هذا.. لماذا لم تأت من قبل؟ لا بد أنك سمعت كل هذا الضجيج!

وقبل أن تنتظر منه جوابًا، سحبت جون من منطقة الأضواء إلى الخارج وهي تقول: الحيوانات! الحيوانات البشعة!

وركض براد إليهما، وقد تهدل قميصه، وقالت فيكي:

- سأسوق السيارة إلى منزلنا لإحضار سيارتك.

وبينما كانت تتكلم، أسرع المستر كاري وزوجته إلى الخارج وهما يصيحان: فيكي.. براد.

تحولا إليهما ينتظران، ووصل الاثنان يلهثان، وقد احمر وجه المستر كاري، وتجاهل جون وقال وعيناه تلمعان غضبًا:

- ماذا تفعلان؟ لماذا لم تأتيا إلى منزلي حسب الاتفاق؟

قالت فيكي:

- كنا مع جون، وسيارته الآن في منزلنا.. سنذهب به إليها هناك.

- دون تصويت! هل جننتما؟ ارجعا، كلاكما.. امكثا حتى ينتهي التصويت، إنني آمركما.

نظرت فيكي إلى والد زوجها وهي تلتهب غضبًا وقالت:

- تأمرنا! بأي حق تأمرنا؟ إنك أنت السبب في ذهاب جون إلى الاجتماع.. وأنت المسؤول عن هذه المهزلة الشنيعة.

حملق فيها المستر كاري لحظة ببرود، ثم اتجه إلى ابنه وقال بصوت كالرعد:

- براد.. ارجع إلى هناك.

وكان غضبه مخيفًا.. ولاحظ جون أن براد قد ابيض وجهه من القلق، فقال:

- لماذا لا ترجعان؟ إنني على أحسن حال.

قالت فيكي:

- لأكن ملعونة إذا رجعت.. لتذهب ستونفيل إلى الجحيم.. لتذهب بحيرة شلدون إلى الجحيم.

ووضعت يدها على ذراع براد وقالت:

- هيا تقدم.

أمسك المستر كاري بذراع براد الأخرى وقال:

- براد إنني منتظر.

وقالت مسز كاري، وقد استبد بها القلق والاضطراب:

- جورج.. جورج.. من فضلك دع الفتى يقرر الأمر بنفسه.

وظل براد حائرًا بين والده وزوجته، وأخيرًا بدا عليه الاستسلام

وقال:

- حسنًا يا عزيزتي.. يحسن أن ترجعي بجون.

لمعت عينا فيكي غضبًا، أبعدته عنها فجأة، وأعطته ظهرها، فقال:

- ولكن يا عزيزتي.. إن التصويت يعني الشيء الكثير لوالدي.

وخفت صوته.. وتبع والديه ببطء سائرًا ناحية الاجتماع، وأسرعت فيكي نحو السيارة دون أن تنطق بكلمة. وتبعها جون، واستقلا السيارة، وأخذت فيكي تسوق راجعة إلى منزلها.

لم يتكلم كلمة.. وأخيرًا انفجرت فيكي قائلة:

- أحيانًا يجعلني ذلك الوالد أجن لدرجة أنني أود قتله.

وكأنما أرادت أن تدافع عن زوجها لاتهام تتهمه به، ولا تستطيع التصريح به، فقالت:

- إنها ليست غلطة براد.. لن يمكنه التصرف ما دام خاضعًا لوالده ووالدته.. هكذا نشأ.. إنني أشمئز لكوني زوجة لرجل طفل.. لوالده سلطان عليه.

ونظرت إليه من خلال عجلة القيادة، وهي تحاول -كزوجة مخلصة- أن تلتمس عذرًا لتلك النقيصة الكبرى في براد، وتشعر أنها يجب أن تقف بجانب جون:

- آه.. لو أمكنا أن نستقل.. ونبتعد.. فلا يكون لوالده كل هذا السلطان.. إنني لأضحي بكل شيء في سبيل ذلك.. ولكن براد لن يفعل.. ما دامت والدته على قيد الحياة. تقول إنها لا يمكنها أن تحمل

ذلك الحمل الثقيل وحدها.. الحمل الثقيل!

وانفجرت تقول:

– إنني آسفة يا جون.. إنني أتكلم عن آلامي ومتاعبي.. لقد كنت مدهشًا معهم.. مدهشًا حقيقة.

– لم أكن كذلك.. لم أستطع صدهم.

– الجرذان! وستيف ريتر هذا.. إنه أسوأهم جميعًا.. إنه هو الذي سبب كل ذلك.. وهو يتحدث مع كل إنسان.. لماذا يقف ضدك؟

وتذكر تلك الكلمات: لا أريده.. ولكنه أقوى مني، إنه مثل المرض.

وقال:

– لا أعرف.. أظن أن كلهم ضدي؛ لأنني نوع لم يتعودوه.. يخيل إليَّ أن في شيء يبعث على الريبة.. ولهذا..

وفجأة أدرك أنه لا يستطيع الكلام عن لندا.. حتى مع فيكي كاري.. وقد ظلت تقود السيارة في صمت حتى وصلا إلى المنزل.

اقترح عليها جون أن ترجع وتشترك في التصويت، ولكنها كانت عنيدة، وأرادت أن تستمر في معركتها الشخصية ضد والد زوجها العاتي وزوجها الخاضع لوالده. وقالت إنه يجب ألا يذهب إلى منزله وحيدًا، وأصرت على أن تتبعه في سيارتها وتدخل معه وتتناول شرابًا. ووصلا المنزل ودخلا غرفة جلوس الأسرة وتناولا شرابًا. وعندئذ بدا جون يتحقق ماذا تعني له بعد أحداث ذلك اليوم الرهيبة، وأنه لا يمكنه

أن يعيش من دونها إذ تقبلته وساعدته كما هو.

ولم تمكث طويلًا، فما إن انتهت من شرابها حتى نهضت لتمضي وقالت:

- سأحاول أن أسري عن براد المسكين.. إن سلوك والده معه يكاد يقتله.. يجعله يشعر بالضعة والمهانة ولست ألومه.

ومدت إليه يدها فتناولها جون، وأضاءت وجهها الهادئ ابتسامة فيها خجل وحيرة، وقالت:

- أيمكنني أن أقول شيئًا يا جون؟

- طبعًا.

- كل ما حدث الليلة منهم يدل على غباء فظيع.. لم أكن متيقنة.. كنت مثل براد.. خطرت لي فكرة وقتًا ما.. قد يكونون على صواب.. ربما يكون..

وانفجرت تقول وهي تسحب يدها:

- ولكني الآن مختلفة تمام الاختلاف.. إنني أصدقك الآن.

واندفعت نحو الباب، ثم اتجهت إليه وقالت:

- ولندا.. إنني أصدق كل ما قلته عنها.. يمكنني أن أتصور الجحيم الذي كنت تعيش فيه.. وإنني معجبة بك.. ومهما يحدث فأنا معك.. وإذا احتجت إليَّ.. حسنًا.. مساء الخير.

- مساء الخير يا فيكي.

وأخذ يرقبها وهي تسرع ناحية السيارة، وساقتها وانطلقت تاركة إياه يعاني وحده ذلك الكابوس المخيف، وهو يزحف نحوه قاسيًا رهيبًا.

أصبح وحيدًا في المنزل.. وبدا له ذلك الشرك وقد احتواه تمامًا، ولا خلاص له منه.

أطفأ الأنوار وذهب إلى غرفة النوم، ونادرًا ما ذهب إليها منذ ما اختفت لندا.. ولما نظر إلى الفراش، وقد غطته الملاءة البيضاء أخذ يفكر:

لندا.. إنها المرأة التي كانت زوجته مدة ست سنوات.. والتي أحبها.. إنها الآن في مكان ما.

وعاد إليه الألم ثانية؛ إذ تصور تلك المناظر: الجنون.. تمزيق اللوحات.. تحطيم الأسطوانات.. الجري نحو «الأُستوديو».. وحمل الآلة الكاتبة.. الجري نحو الدور العلوي وأخذ الحقيبة، وبعد ذلك.. إلقاء الحقيبة في مكان القمامة.. هل فعلت ذلك؟ هل أحرقت «البنطلون» الأزرق في المروج؟ أو هل ذهبت إلى الطريق الآخر الغامض؟ طريق ذلك العدو.. الذي هو ليس عدوه فقط، بل عدوها أيضًا.. وهو الذي ألقى بالحقيبة في ذلك المكان.. وأحرق «البنطلون» الأزرق بعد أن قتلها!

ومكث ساعات وهو يفكر أنها ماتت.. وأن جثتها في الغرفة، ثم ذهب إلى الحمام.. وكانت «الفوطة» التي مسح بها جسمه بعد أن استحم آخر مرة ملقاة على الأرض، فانحنى ليلتقطها ويضعها على

«الشماعة»؛ وإذ ذاك لاحظ «فرش» الأسنان إذ نظر إليها.. لقد كان في الحمام من قبل.. ولم يلحظ ذلك.. كيف حدث هذا؟

كانت «فرش» الأسنان الخاصة بلندا على يسار المرآة، و«فرش» الأسنان الخاصة به على يمينها، كل «فرش» أسنان لندا كانت معلقة في «شماعة» صغيرة.. وكانت كاملة.. ولاحظ أن اثنتين من «فرش» الأسنان الخاصة به مفقودة.

إذن ليست لندا التي ملأت الحقيبة.. إنه شخص آخر.. إنه العدو.. ذهب إلى غرفة النوم، وأخذ الحقيبة، ووضع بها الملابس، وأسرع إلى الحمام وأخذ «فرشتي» أسنان.. إنه شخص آخر.. غير لندا.. وقد كتب الورقة على الآلة الكاتبة، ومزق الصور وحطم الأسطوانات.

وجلس على المقعد وشعر بدوار. ألا يعرف الآن؟ ألا تثبت واقعة «الفرش» أن لندا قد قُتلت، وأن ما بقي هو تدبير محكم لإلقاء الشبهة عليه. وبدأ يشعر أنه لا بد أن يجد في هذا المكان خيطًا يقود إلى كشف السر.. ليكلم الكابتن جرين بالتليفون، ويخبره بموضوع «فرش الأسنان».. هذا يثبت براءته.. إن الكابتن جرين سيتحقق أنه لا يخطئ أبدًا أن «الفرش» الخاصة به والخاصة بزوجته.

ولكن شعاع الأمل خبا بمجرد ظهوره، كيف يستطيع أن يثبت أن هذه «فرشه» والأخرى «فرش» لندا؟ وعاد يفكر في ذلك الجمع الصاخب في الاجتماع الذي يتهمه بالجريمة.. وهذه عقيدة جرين أيضًا.

لم يرجع إلى غرفة النوم، ذهب إلى غرفة أخرى، وخلع ملابسه

واضطجع على فراش وهو يناضل للخلاص من الصور التي تخيلها عن لندا وهي تتراجع أمام شخص وتصرخ، وقد كسى وجهها رعبًا.

حاول أن يفكر في فيكي وفي الأطفال.. ولكن ذكرى أنجل وهي تصيح:

«لقد ضربت زوجتك».. عادت إليه وآلمته.. وفكر في «البنطلون» الأزرق في معمل التحليل يفحصه رجال يرتدون الملابس البيضاء بالمنظار المكبر.

واستغرق في النوم، ورأى في منامه أن ستيف ريتر يطارده في الغابة، ولم يكن وحيدًا.. كان يتبعه أهالي ستونفيل يجرون وراءه، وهم يصرخون مثل كلاب الصيد.

ماذا فعلت بزوجتك؟

* * *

استيقظ فجأة وهو يتخيل أن لندا تناديه باسمه.. ونظر إلى ساعته فوجد أنها العاشرة وعشر دقائق.. وسرى فيه القلق، كيف أمكنه أن ينام هكذا طويلًا؟ هناك الكثير ليعمله. ولما رجعت إليه ذاكرته رجع إليه الألم، ماذا يعمل الآن؟ هل يكلم الكابتن جرين تليفونيًّا، ويوضح له مسألة «فرش» الأسنان؟ لقد قرر من قبل أن هذا لا يفيد، بل يضر؛ لأنه يجعل الكابتن جرين يظن أنها محاولة يائسة من مذنب؛ لكي يجد دليلًا على براءته.

وسمع شخصًا يناديه باسمه بصوت خافت.. إنه صوت نسائي.. وفكر.. ربما تكون لندا.. وقفز وقلبه يدق بشدة، وركض ناحية النافذة فوجد دراجة بجانب باب المطبخ، وأمكنه أن يرى وجهًا صغيرًا مختبئًا وراء الأشجار.. إنها إيملي جونز.

شعر بسرور عظيم وقال:

- إنني آت.

أسرع إلى غرفة النوم ولبس روبًا ونزل إلى المطبخ، وفتح الباب وقابل إيملي، وكان وجهها محمرًّا وكانت عيناها لامعتين.

أخرجت عدة رسائل وقالت:

- لقد أحضرت البريد لك.

- شكرًا يا إيملي.

تناول جون الخطابات وقالت إيملي:

- لقد أتيت لأطلب منك ألا تذهب إلى القرية.

وكانت تلهث وقالت:

- كثيرون من أهلها يقولون إنهم سينالونك إذا ذهبت.. وقد أسفوا لأنهم لم يفعلوا ذلك الليلة الماضية. سمعتهم يقولون ذلك.. قالوا إنهم لن ينتظروا إجراءات رجال البوليس.. إن هذا ليس من شأنهم، وإنما من شأن ستونفيل.. هكذا قالوا.

وفجأة طوقته بذراعيها، وخبأت وجهها في صدره وقالت:

- آه.. أنا أكرههم.. أنا أكرههم.

وكان جسدها الرقيق يرتجف، فربت بيده على رأسها برفق، وقال:

- حسنًا يا إيملي.. إنهم يتكلمون بطريقتهم.. ولكنه مجرد كلام.

- وأنجل.. إنها رديئة مثل الآخرين.. مثل أمها.. إنها تقول إنك فعلت ذلك.. تقول إنك قتلت مسز هاملتون.

ونظرت إليه بيأس وقالت:

- ولكنك لم تفعل! أليس كذلك؟ إنني أعرف أنك لم تفعل.

- لا يا إيملي لم أفعل.. وليست لدي أي فكرة عن مكانها.

- إذن لماذا يقولون ذلك؟ لماذا يكون الناس هكذا؟ لماذا هم هكذا أشرار؟

وضع يده حول خصرها وقال:

- ادخلي لنتناول بعض الشراب.. لا بد أنك عطشى بعد تلك المسافة الطويلة.

ابتعدت عنه وهي تبكي، وقالت:

- آه.. لا.. لا يمكنني، ليس الآن.

وركضت إلى دراجتها وانطلقت وهي تنظر إلى الخلف.. إليه.. ونظراتها تعني:

- حينما ينتهي كل ذلك.. ربما أرجع.. إذا رغبت في ذلك، سأنظف المنزل وسأطبخ.. ولكن ليس الآن.

ولما اختفت رجع إلى المطبخ ووضع يده في جيب الروب باحثًا عن لفافة من التبغ فلم يجد. وأراد أن يقرأ الخطابات، فجلس على مقعد، وأول ما لاحظه هو مجلة الفن.. لقد وصلته أخيرًا. ولما قرأ النقد ابتهج؛ فقد مدحته مدحًا وافرًا، وقالت إن القرية التي يعيش فيها ذلك الرسام العظيم ستفخر بأن بها رسامًا أمريكيًّا نابغة.

غمره الفرح لحظة، ثم احتواه ظلام الموقف الذي يعانيه.. ماذا يفيد هذا الآن؟ وألقى بالمجلة إلى الأرض، ونظر إلى الخطابات وكانت كلها «فواتير» تستحق الدفع.. وكان من ضمنها فاتورة من

متجر بتسفيلد لا يتذكر أنه ذهب إليه.. لا بد أنه شيء اشترته لندا.

كان اسمه وعنوانه في أعلى «الفاتورة» وكتب تحته:

٢٩ أغسطس. ستة دولارات ثمن أسمنت.

وأخذ ينظر إليها ويفكر، ٢٩ أغسطس. إنه اليوم الذي سافر فيه إلى نيويورك، ولكنه لم يشتر الأسمنت.. وشعر بالكابوس يرجع إليه.. أسمنت! وقفز من فوق مقعده، وطلب المتجر تليفونيًّا فردت عليه امرأة.. وكانت يده ترتجف وقال:

– إنني جون هاملتون من ستونفيل.. وصلتني «فاتورة» بشيء لم أطلبه، أيمكنني أن أكلم أحدًا عن هذا الموضوع؟

ردت المرأة قائلة:

– لحظة من فضلك.

ورد عليه بعد قليل صوت رجل فسأله السؤال نفسه.. وساد صمت قليل، ثم سمع صوت الرجل ثانية وهو يقول:

– عفوًا يا مستر هاملتون، هذه «الفاتورة» صحيحة.. لقد تلقيت الطلب أنا نفسي.

– تلقيت الطلب أنت؟ متى؟

– بالتليفون.. طلبتني بالتليفون حوالي الساعة التاسعة!

– ولكنني لم أطلبك.

– جون هاملتون من ستونفيل.. كان هذا هو الاسم.. قال جون

هاملتون إنه يحتاج إلى أسمنت لكي يصلح «شدخًا» في حمام السباحة الخاص بالأطفال.. وطلب إرساله في الحال.. وكانت الساعة قد بلغت التاسعة، وكانت السيارة على وشك القيام في الساعة التاسعة كالمعتاد كل يوم ثلاثاء.. فشحنت الأسمنت فيها، وطلب الرجل الذي كلمني أن تقف السيارة بجوار المنزل؛ لأنه لن يكون هناك ليأخذه، كما طلب أن يوضع بجوار المنزل بقرب مجرى النهر.

عرف كل شيء، لقد بدا له الشرك واضحًا.. بقرب المجرى، وبجوار المنزل.. حيث لم يذهب منذ عاد من نيويورك.. وحيث لم يذهب رجال فرقة البحث.

وأراد أن ينهي المحادثة، فقال:

- لم أكن ذلك الرجل.. إنه شخص آخر هو الذي كلمك بالتليفون.. إنني لم أطلب ذلك الطلب.

ووضع المسماع مكانه... المجرى! وجرى إلى الدور العلوي وارتدى ملابسه وأسرع إلى الطريق.. ووصل إلى المجرى، حيث ألقيت غرائر الأسمنت في العربة.. ولكنها لم تكن هناك.

ترك الطريق وأخذ يجول في الأرض المغطاة بالحشائش، فوجد خطًّا أبيض متعرجًا هو أسمنت قد سقط من غرارة قد فُتحت.. وعرف أن هذا جزء من الخطة.. جزء من الشرك.. الورقة المكتوبة على الآلة الكاتبة.. الصور الممزقة.. الحقيبة.. «البنطلون» الأزرق.

وأخذ يتتبع الخط الرفيع من الأسمنت، وهو يشعر بعدوه الكامن

في وسط الشرك كالعنكبوت.. يتهيأ للانقضاض عليه، وقاده ذلك الخط إلى ما وراء «الأُستوديو»، وهناك غرف صغيرة كانت تستعمل كحظائر للبقر، ورأى بداخل إحداها عربة اليد الصغيرة وهي ماثلة وبداخلها أسمنت.

نظر إليها وهو يبذل مجهودًا ضخمًا لكي يضبط نفسه، لا يجب أن يشعر بغضب أو ألم.. يجب أن يكون مثل الآلهة. ومشى ببطء وخرج من تلك الغرفة وذهب إلى أخرى وثالثة.. ووصل إلى الأخيرة.. ولم تكن أرضها قذرة كأرض الغرفة الأخرى، لقد غطيت حديثًا بالأسمنت، وفوقه كانت هناك كومة عالية من كتل الخشب النظيفة.. وبنظرة واحدة إلى الأسمنت عرف أنه حديث.

وقف وهو ينظر إلى أسفل.. وهو يشعر أنه كالميت أو مثل «الشيء» المدفون تحت الأسمنت، وسمع صوتًا كوقع خطوات فيران تمشي، فنظر إلى النافذة التي فوق كتل الخشب، وكانت مغطاة بنسيج العنكبوت.

وخرج متجهًا ناحية المنزل، وسمع رنين جرس التليفون.

* * *

وبدا له صوت جرس التليفون مخيفًا كذلك «الشيء» الذي تركه وراءه في حظيرة البقر. وأسرع إلى المطبخ وقلبه يدق، وكان جرس التليفون لا يزال يرن رنينًا ملحًّا متواصلًا.. ولم يرد عليه. ولكنه فكر.. إذا لم يرد، فقد يأتون ويذهبون إلى الحظيرة.. ليرد إذن.

خرج من المطبخ مسرعًا وأمسك المسماع بيده وقال:

- هالو.

وكانت فيكي، عرف صوتها وهي تقول:

- جون.. أهذا أنت؟

- فيكي.

- شكرًا لله.. إنني أحاول الاتصال بك منذ عشر دقائق بلا فائدة.. أسرع.. ليس هناك وقت.. إنهم قادمون إليك لينالوك. ليس البوليس.. إنه ستيف.. الجميع.. كل القرية، لقد رأيتهم من النافذة، رأيت السيارات تتجمع.. إنهم بدأوا.. ذهبوا منذ حوالي خمس دقائق.. سيصلون إليك في أي لحظة. جون لا يمكنك أن تمكث مكانك.. اذهب إلى منزلنا، هذا ما يمكنك أن تفعله.. استقل سيارتك الآن.. إذا رأوك معي فسيهدأون. جون، هل تسمعني؟

قال وهو ينظر إلى الطريق:

- نعم يا فيكي.. إنني أسمعك.

- استدعى البوليس ستيف.. لقد وجدوا بعض الدماء والأسمنت على البنطلون الأزرق، وأبلغهم أحد المتاجر في بتسفيلد أنك اشتريت غرائر أسمنت.. وأنك دفنتها هناك.. حول منزلك. هكذا يقولون.. إنهم قادمون للحفر.. ومعهم فؤوس ومعاول.

سمع صوت السيارات، خافتًا عن بُعد، وازداد الصوت ارتفاعًا، لقد وصلوا إلى القنطرة.. إنه الكابوس مرة ثانية.. وهو حقيقي، وقال:

- أشكرك يا فيكي.. كل شيء سينتهي.

- أسرع.

- نعم.. سأسرع.

ووضع المسماع في مكانه، واحتواه الألم في قبضته.. ووقف ينتظر، لم يستطع الذهاب إلى السيارة، لم يكن هناك وقت. لم يكن هناك ما يفعله ليقف.. ولكن لا.

ورأى عبر النافذة أول سيارة قادمة.. فركض إلى المطبخ.. وخرج إلى العراء.. وعادت إليه ذكرى الحلم.. المطاردة، ولكنه لم يكن حلمًا الآن.. إنه حقيقة، وانطلق إلى المروج.

ووصل إلى الغابة.. وكان يعرف كل ركن فيها.. لن ينالوه.

وسمع صياح الرجال بعد أن بحثوا في المنزل ولم يجدوه.. فانطلقوا إلى المروج يبحثون. واتجه نحو شاطئ البحيرة.. وكان لا يزال

يسمع صراخ الرجال وأصواتهم تقترب نحوه.. ربما يكون معهم كلب.

وأخذ يركض، ولم يقف إلا ليلتقط أنفاسه، ويعود ثانية إلى الجري. وأخيرًا سمع صوتًا يقول إنه هو.. هناك.

وقع على الأرض.. وشعر أنه في قفص ضيق لا يستطيع الحراك، ونهض ثانية.. والآلام تكاد تصرعه، واستأنف الجري، وشعر بنفسه يسقط على وجهه.. وظل يلهث كالوحش الجريح.

وظل يسمع الصياح والصرخات وراءه.. وشعر أنه فقد نفسه، وأصبح ملكًا لأولئك المطاردين. ونهض ثانية وتابع الجري حتى وصل إلى الصخرة التي في وسط الغابة.. وأخيرًا وقف.. ونظر كأنه يرى شبحًا.. لقد كانت إيملي.

كانت تضع أصبعها على شفتيها.. ووقفا في صمت.. ينظر كل منهما إلى الآخر، ومدت يدها.. ومد يده إليها.. وكانت الصرخات لا تزال تدوي حولهما.. وقادته إلى الأمام.. وتبعها، وزحف الاثنان إلى مدخل كهف ضيق مظلم.. وأمكنه أن يشعر بالوحل في ذلك الكهف وهو يزحف.. ولمست إيملي يده بحركة فهم منها أنه يمكنه أن يقف.. فوقف، وقادته إلى الأمام في ذلك الكهف، ولمع ضوء خافت.. وأمكنه أن يرى أنه الآن تحت الصخرة.

وهمست إيملي:

- إنك هنا في أمان.. لا يعرف أحد هذا الكهف سوانا.. أنا وأنجل.. إنه ذلك «السر».

وقف بقربها، وشعر باطمئنان لذلك؛ ولوجوده في ذلك الكهف الأمين. وكانت الأصوات ترن حولهما، أمكنه أن يسمعها، وأن يسمع وقع خطى المطاردين.

وقالت إيملي:

- لا تخف.. لن يسمعونا هنا.. هناك شيء غريب في هذا الكهف.. يمكنك أن تصرخ هنا، ولن يسمعك أحد في الخارج.. جربت أنا وأنجل ذلك.. سيذهبون.. أصغ.. إنهم يذهبون الآن.

وأخذت الصيحات والأصوات تخفت شيئًا فشيئًا.

وقالت:

- بعد أن تركتك، أتيت إلى هنا لأنفرد بنفسي، وسمعت الصيحات، ورأيت أهل القرية يجرون، وعرفت ما سيحدث، وخرجت من الكهف لا أدري ماذا أفعل.. ثم وجدتك.

وشعر بالضعف بعد فترة التوتر، واهتزت ركبتاه ولمست يد إيملي ذراعه، وقالت:

– إنك متعب.. يحسن أن تنام هنا على فراشي، وليس على فراش أنجل.. إنها لا تسمح لأحد أن ينام على فراشها.

أطاع جون، وقالت إيملي:

– إنه ليس فراشًا بالمعنى الحقيقي.. إنه أوراق أشجار ذات أطراف مدببة، ولكننا نسميه فراشًا.

وجلس وتمددت وقالت:

– لقد أحضرنا بعض الأثاث القليل جدًّا.. ومصباحًا.. إنه منزلنا، ونحن نأتي إلى هنا كل ليلة وننام.. وأمنا لا تعلم بذلك.. نأتي خفية كل ليلة، ونرجع عند انبثاق الفجر.. نحن نسكن هنا.. ولويز تعيش معنا هنا.

– لويز!

وشعر بإيملي تنزلق مبتعدة عنه، وسمع صوت احتكاك عود الكبريت وأضاء نور.. ورآها تنير مصباحًا.

– إنها لويز.

ورأى أن لويز لم تكن سوى دمية.. وقال:

– أطفئي المصباح يا إيملي.

– لقد ذهبوا.

– ولكنهم قد يرجعون.

توقفت لحظة تنظر إليه برزانة، ثم أطفأت المصباح وقالت:

- حسنًا.. لقد كشفت أنجل هذا الكهف.

وبدا الكهف أمامه سحريًّا.

والآن وقد هرب.. ماذا يعمل؟ هل يحاول الذهاب إلى فيكي هناك يحتمي بآل كاري حتى يأتي «البوليس»، ثم يسلم نفسه قائلًا: إنني لم أهرب.. كنت أحاول الذهاب إلى منزل آل كاري؛ لأنني كنت خائفًا مما يفعل أولئك الرجال.

ولكن قد يكون أولئك الرجال في الغابة.. وقد يرجعون في أي لحظة.

لم يكن هناك ما يفعل في ذلك الوقت إلا أن ينام على ذلك الفراش المكون من أوراق الأشجار.

وسمع صوت إيملي وهي تقول:

- جون!

- نعم يا إيملي.

- هل كانوا ستيف ورجاله أو رجال «البوليس»؟

- ستيف وأهل القرية.

- وأتوا إلى منزلك، وأنت هربت؟

- نعم.

- وماذا كانوا يريدون أن يفعلوا بك؟

- لا أعلم.

- ولكنك هربت!

- نعم.

- إنني أكرههم.. إنني أكرههم.

- نعم. ولكن أسوأ ما في الأمر قد حدث.

وأراد أن يخبرها.. فلا يجب أن يخبئ عنها شيئًا ما دامت قد وثقت به ووقفت بجانبه، فقال:

- لقد وجدوا بعض أسمنت على «البنطلون» الأزرق، وبعضهم قد طلب الأسمنت من متجر في بتسفيلد منتحلًا اسمي، ووضعه في المنحنى بجانب المجرى وراء المنزل، لغرض إصلاح حوض السباحة.. وذهبت إلى هناك.. ووصلت إلى حظيرة البقر.

كيف يقول هذا لطفلة؟! ولكنها قالت:

- وهل كان الأسمنت في حظيرة البقر؟

- بعضهم قد غطى به أرض إحدى الحظائر.. إنه أسمنت جديد.

قالت إيملي بهدوء:

- إذن هي هناك.. مسز هاملتون. إنها ميتة تحت الأسمنت.

- أظن هذا يا إيملي.

- من فعل ذلك؟

- لا أعرف.

- ولكن واحدًا فعل ذلك.. شخص وضعها هناك، وعمل على أن

يلقي التهمة عليك.

- نعم.

وأخذ يفكر.. الأسمنت على «بنطلونه» الأزرق.. الصوت الذي طلب الأسمنت بالتليفون.. لندا هناك تحت الأسمنت الجديد في الحظيرة التابعة لمنزله.. إنه شرك متين نسجه له عدو مدرب خبير ماكر.. وبدا له الكابتن جرين.. ووكيل النيابة.. والقاضي، والمحلفين.. اثنا عشر محلفًا يرقبونه بعيونهم القاسية ويطاردونه بها كرجال القرية.

- ماذا تنوي أن تفعل يا جون؟

- لا أعرف.

- إنك لم تفعل ذلك.

- لا.. لم أفعل.

- بعضهم قد فعل ذلك؟

- نعم.

- هل أخرج وأرى إذا كانوا قد ذهبوا؟

- لا تخرجي الآن.. انتظري قليلًا.

- جون!

- نعم.

- هل تنوي المكث هنا؟

- لا أعرف.

- إن أنجل ستأتي في أي لحظة.

وكان يصغي ويجيب إجابات آلية.. ولكن عاد إليه انتباهه فجأة وقال:

- أنجل!

- نعم.. إنها قادمة.. قالت ذلك، وستقوم برحلة مع لويز، وأنا خائفة.

وعادت إليه ذكرى أنجل وهي تتخبط وتصرخ بين ذراعيه وتصيح:

- لن تعرف السر.. لقد ضربت زوجتك.

قالت إيملي:

- إنه ذلك السر.. كما ترى.. ستجن إذا رأتك هنا بسبب معرفتك السر.. وذلك الأمر الآخر.. إنها تقول كما يقول الآخرون إنها تقول إنك...

وعلا صوت بومة تنعق في الأحراش المجاورة، فأمسكت إيملي بذراعه، وعاد الصوت ثانية.

وقالت إيملي:

- إنها أنجل.. وهذه إشارتنا المتفق عليها.. إنها الآن في النافذة.. وستأتي بعد قليل.

قفز جون، وقفزت إيملي أيضًا.. وقالت:

- أين ستذهب؟

- إلى الغابة ثانية.

- ولكنهم لا يزالون هناك، لا يمكنك أن تفعل هذا، وستراك وأنت خارج.. إنها...

أسرع نحو فتحة الكهف، وجرت إيملي وراءه، وأمسكت بكم قميصه، وقالت:

- كلا يا جون.. كلا.. امكث.. لقد دبرت الأمر، سيكون كل شيء على ما يرام.. سنؤثر عليها.. ألا يمكننا أن نؤثر عليها؟

وقف مترددًا.. وقالت إيملي:

- لويز.. ستدبر كل شيء.

وتركته.. وسمع صوت عود ثقاب، ثم رجعت بالمصباح المنير، ووضعت المصباح بجانب الدمية، وقالت:

- اجلس.. اجلس بسرعة بجانب لويز.. وحينما تأتي قل إن لويز قد دعتك إلى هنا.

- ولكنها لن تصدقني.

- ستصدقك.. حينما تتكلم سأكذبك وأقول إن لويز مجرد دمية ولا تدعو أحدًا.. وإذ ذاك سترى.. إنني أعرفها، هي عنيدة إذا عارضتها في شيء تشبثت به.

وقفت إيملي وسط الظلال الراقصة، وجلس جون يفكر.. هل وصل إلى هذا الحد؟ هل يخاف من طفلة في السابعة من عمرها أكثر

مما يخاف من كل رجال القرية؟ وظهرت أنجل.. ورأت جون، وقال جون:

- هالو.. أنجل.. كنت مارًّا وقد دعتني لويز للدخول، وأرجو ألا تهتمي لهذا.. إيملي مجنونة.. إنها تقول...

خرجت إيملي من بين الظلال، وقالت:

- طبعًا لويز لم تدعك.. وجدته هنا.. أتى بنفسه.. ويزعم أن لويز.. كأنما لويز يمكنها أن تدعو أحدًا، وهي مجرد دمية.

وقفت أنجل وهي تمسك بكيس من الورق وتنقل النظر بين جون وإيملي وقالت:

- هناك رجال في الغابات.. لقد سمعتهم.. أتوا من القرية، إنهم يبحثون عن جون.

صاحت إيملي:

- وما شأننا بهذا.. المهم هو السر.. وهو يقول إن لويز..

قالت أنجل:

- إنه رديء.. كان يعامل مسز هاملتون معاملة رديئة.. وهذا هو السبب في انهم يبحثون عنه.

قال جون:

- ولكنني لم أكن كذلك يا أنجل.. كل هذا خطأ، إذا لم تصدقيني فاسألي لويز.

قالت إيملي بسخرية:

- إنها لا تعلم.. كيف تعلم وهي دمية قديمة لا حياة فيها؟

ألقت أنجل كيس الورق على الأرض، وتقدمت ووقفت باحترام أمام الدمية، وقالت:

- صباح الخير يا لويز.. هل قضيت ليلة طيبة؟ لويز! هل إيملي غبية رديئة؟

وبعد قليل من الإصغاء نظرت إليهما وقالت:

- إنها تقول نعم.. أنتِ غبية رديئة.

وعادت إلى الدمية تقول:

- هل دعوت جون إلى هنا يا لويز؟ هل دعوته برغم أنك تعرفين أن أولئك الرجال يبحثون عنه؟ هل دعوته لأنهم على خطأ، ولأن مسز هاملتون كانت شريرة؟

وتوقفت لحظة، وتحولت إلى إيملي وهي تخرج لسانها مستهزئة وتقول: إنك لا تعرفين شيئًا.. لقد دعته لويز.. ولويز تقول...

وفجأة سمع جون صوت رجل يصيح.. فتصلب جسده وارتفعت أصوات أخرى، ولمعت عينا إيملي وقالت:

- سأذهب لإحضار الرجال.. سأذهب لأخبرهم أن جون هنا.

أمسكت أنجل بأختها وهي تضربها بقبضة يدها وتقول:

- كلا.. لويز تقول كلا.. تقول كلا..

وعاد الصوت يقول من الخارج:

- لا شيء هنا يا فريد.. ربما يكون قد عاد إلى الطريق!

وكان جون واقفًا، وقد أمكنه أن يسمع وقع خطوات الرجال وهي تبتعد، وسقطت إيملي على الأرض وقالت:

- وهكذا سيمكث جون.

- نعم.. نعم.. نعم.

- أي مدة يريد...

- نعم.

- وعلينا أن نساعده.. وكل ما يريد منا أن نفعل.. نفعله؛ لأن لويز تريد ذلك.

- نعم.

وسمع صوت غصن يتكسر في الخارج.. فتوقف عن التنفس.

وتحولت أنجل نحوه بابتسامة وقالت:

- يمكنك أن تصرخ هنا كما تريد.. لن يسمعك أحد في الخارج.

وفتحت فمها بصراخ مرتفع ارتعدت له فرائص جون، وضاع الصراخ في جوانب الكهف.. على حين سمع صوت الرجل وهو يقول:

- حسنًا يا فريد.. لنذهب إلى الطريق.

وشعر جون بساقيه ترتعشان، واستند على جدار الكهف، وأمامه

يضيء السراج، وتجلس بجانبه لويز جامدة. وارتمت أنجل على الأرض بجوار كيس الورق، وقالت:

– الآن سنبدأ رحلتنا.. ولويز تقول إن جون يأخذ نصف حصة إيملي.

* * *

أخذت تخرج أشياء من الكيس، من تين، وكعك، وشيكولاتة و«سندوتشات»، ثم رتبتها على الأرض أمام لويز، وقسمتها إلى كومتين: الكبيرة لها والصغيرة لإيملي وجون وقالت:

- إن لويز تقول إن جون وإيملي يأخذان هذه.

وكان الرجال قد ذهبوا.. من المحتمل أن يكون قد نجا.. ليستفيد من هذه الفرصة.

وبينما كانت إيملي تتمشى وسط الظلام، جلس على الرمال الموحلة بقرب أنجل وبدأ يأكل.. إن مسز هاملتون رديئة.. هكذا قالت أنجل.. إنه سرنا.. إن الرجال قد ظنوا أنني خرجت من الغابات إلى الطريق.. هذا أهم شيء في تلك اللحظة.. ليدعهم يظنون ذلك، هذا يعطيه وقتًا.

وقال:

- حسن من لويز أن تدعني أمكث هنا.

وكانت أنجل قد بدأت تأكل قطعة الشيكولاتة فقالت:

- لويز تحبك.. وأنا أحبك أيضًا.. ولكن إيملي فقط تعمل أشياء تجعلني أجن.

- أتريد لويز مساعدتي؟

- نعم.

- هل يمكنها أن تجعل إيملي تفعل شيئًا من أجلي؟

وكانت أنجل قد انتهت من أكل الشيكولاتة، فقالت:

- إن لويز تقول إن على إيملي أن تساعدك قبل أن تتناول فطورها.

قالت إيملي:

- ولكن يا أنجل!

نظر إليها جون بسرعة، وقال:

- إنكما تأتيان إلى هنا على دراجات.. أليس كذلك؟

- نعم.

- أين الدراجات؟

- مخبأة وسط الأشجار هناك.

- أيمكنك أن تعملي شيئًا من أجلي.

قالت إيملي بصوت ينذر بالخطر:

- إذا قدرت.

قال جون:

- إنك تعرفين يا إيملي ذلك الطريق الموحل المنحدر من منزل آل فيشرز.. وهو ليس بعيدًا.. خذي دراجتك واركبيها إلى ذلك الطريق واتركيها هناك بجانبه.. لا تدعي أحدًا يراك.. ثم ارجعي إلى هنا، وحينما ترجعين إلى القرية أخبريهم بأنك كنت راكبة دراجتك في المروج، وأنا قابلتك فيها واستعرتها منك.. وسيجدون الدراجة في ذلك الطريق، ويظنون أنني ركبتها مسافة، ثم تركتها هناك.

وكانت أنجل تحملق في وجهه وقالت:

- وهكذا ستجعلهم يظنون أنكَ هربت، على حين أنتَ هنا.

وكان جون لا يزال ينظر إلى إيملي، وقال:

- هل يمكنك أن تفعلي هذا؟

فابتسمت وقالت:

- طبعًا سأذهب الآن.

وجرت إلى فتحة الكهف، ولم تلبث أن غابت عن الأبصار.. ولم تحول أنجل رأسها نحوه.. كانت تنظر إلى طعامها فقط.

وكان جون يفكر.. إن الشخص الوحيد الذي يمكنه أن يثق به هو إيملي، فإذا أوصلت الدراجة إلى الطريق، أمكنه أن يصير آمنًا طوال الوقت الذي يكون فيه تحت حماية لويز، وإذا مكث في ذلك الكهف فقد يكون هناك أمل، ولم يدر ما هو ذلك الأمل؟

وعلى كل، فبقاؤه هو أهون الشرين.. كان يعرف ماذا يحدث له

إذا سلم نفسه أو إذا قُبض عليه.. هل يمكن أن تحميه فيكي حتى يصل رجال الشرطة؟ إنه على الأقل حر الآن.. ويمكنه أن يقاتل ويدافع.. لا بد أن شخصًا قد فعل كل هذا.. من هو؟ هل هو ستيف ريتر؟

وسمع صوت أنجل وهي تقول:

- إيملي أمَة.. إيملي أمَة لك.

ونظرت إليه، وقالت:

- إنني أصر على قولي وأكرره أنك فعلت أشياء قبيحة مع مسز هاملتون.. أكرره مرارًا وتكرارًا.. وهذا ما جعلها تجن.. قال:

- ولكنك تقولين إن لندا شريرة أيضًا.

- نعم.. إنها شريرة.

- لماذا؟

- إنها مختبئة في منزل آل فيشرز، على حين هم غائبون عنه. وهذا شر.. أليس كذلك؟ حينما يكون الناس بعيدين عن منزلهم لا يجب أن تختبئ فيه.. هذا شر.

وبدت على وجهها الصغير -على ضوء السراج- دلائل الاشمئزاز، وقال جون:

- هل وجدتها مختبئة في منزل آل فيشرز؟

- كانت هناك.. وكان هناك شخص آخر معها.. وكنت أسير في الطريق، ووجدت السيارة، ثم رأتها تخرج من المنزل، ورأتني وظنت أني لم ارها، وحاولت التراجع إلى المنزل.. وعرفت أن عملها هذا

قبيح، فذهبت إليها ورفعت صوتي حتى عرفت أنني رأيتها، صحت قائلة:

- هالو.. مسز هاملتون.

فعدلت عن محاولة الرجوع إلى المنزل، وتقدمت مني وابتسمت لي.. آه.. إنها شريرة.

والتهمت أنجل ما تبقى من طعامها.. ونظر إليها جون ودقات قلبه تكاد تُسمع.. إن لندا مع شخص آخر في منزل آل فيشرز الخالي.. هل هذا يُصدق؟ أو أن أنجل تحاول أن تنسج إحدى أكاذيبها.

- ومتى كان ذلك يا أنجل؟

نظرت إليه بعينيها السوداوين وقالت:

- منذ أسبوعين ويومين..كل يوم يمر كنت أحسبه وأنا أقول:

- ستعطيني إياه اليوم.. ولكنها لم تفعل.. وها قد مر أسبوعان ويومان..

- تعطيك أي شيء؟

- السوار.

ولوت أنجل معصمها وقالت:

- السوار الذهبي منقوش عليه اسمي بحروف ذهبية.. أ.ن.جـ.ل.

- ولماذا ستعطيك السوار الذهبي؟

- لأنه مثل الذي كان معها.. كانت واقفة هناك، وكانت تبتسم

وتبتسم، وقلت: من القبيح أن تكوني في منزل أناس ليسوا بموجودين فيه.. وقالت:

- أعرف أن هذا قبيح كما ترين.. ولكنه في الحقيقة ليس كذلك؛ لأنهم طلبوا مني أن أعتني بمنزلهم في أثناء غيابهم، وهذا ما أفعله الآن.. ولكنني كنت أعلم أنها تكذب من الطريقة التي كانت تنظر إليَّ بها، والابتسامة التي تحاول بها أن تظهر أنها طيبة جدًّا.. ثم رأيت السوار وقلت:

- يا له من سوار جميل!

وتركتني أنظر إليه، وكان من الذهب، وعليه حروف ل.ن.د.ا، وقلت:

- إنه جميل جدًّا.

فقبلتني وقالت:

- هل تحبينه؟

قلت:

- لا أعرف.

قالت:

- إذا لم تخبري جون أو أي إنسان أنك رأيتني أعتني بمنزل آل فيشرز، فسأعطيك سوارًا مثله منقوش عليه اسمك.

وقلت لها:

- أشكرك يا مسز هاملتون.

ثم ذهبت.

ولكنها لم تعطني السوار. وكل يوم أنتظرها ولم تأت منذ أسبوعين ويومين أو ثلاثة؛ لأنني حسبت هذا اليوم.. وقد غضبت ولا أريد سوارها بأي حال. وأنا أعرف ماذا كانت تفعل في منزل آل فيشرز.. إنها تسرق.. أليس كذلك؟ إنها تسرق مع ذلك الرجل الآخر الذي ذهب في السيارة.. وهو لم يكن أنت، وإلا لما قالت لي لا تخبري جون.. وكل هذا يجعلها شريرة.. وربما علمت أنت بذلك، ولذلك ضربتها.

وفكر.. هل أصدق كل هذا؟

ورجعت الثورة إلى نفسه.. لم يكن هناك سوى الثورة.

خرجت لندا له من الماضي.. على تلك الصورة.. قد تكون خائنة أو غير خائنة.. فهي قد انتهت بالنسبة له منذ زمن.. ولكن ما موضوع السوار؟ ذلك السوار الذي رآه في معصمها حينما نزلت لكي تحيي ستيف ريتر.. وأخفته في جيبها حينما شعرت بوجوده في الغرفة.

وإذا كانت أنجل تذكر الحقيقة، فالسوار والرجل يسيران جنبًا إلى جنب.. كانت لندا تلبسه لموعد معه في منزل آل فيشرز لأنه قدمه لها.

ستيف ريتر.. إذن كان صحيحًا ما قالته.. كان يقابلها خفية.. أحيانًا في منزله، وأحيانًا أخرى في منزل آل فيشرز الخالي.. وهذه هي النقطة الخطرة في الموضوع.. دون جوان، وقد أضاف لندا إلى قائمة

عشيقاته.. وجد أخيرًا أنها ثمرة.

إن العدو المختبئ في الظلال قد أخذ يظهر شيئًا فشيئًا إلى النور.. وبدأ الكابوس ينزاح.

أمكنه أن يلمح الخطة المنطقية لرجل اضطر إلى أن يقتل، وأن يلقي تبعة الجريمة على ضحية أخرى.. أخيرًا وجد شيئًا واضحًا أمامه يمكنه أن يقاتله.

وقال:

- هل رأيت الرجل الذي كان يقود السيارة يا أنجل؟

- لا.. ولكنه شرير أيضًا.. أليس كذلك؟ إنها كانت تسرق من منزل آل فيشرز، وعلمت أنهم سيقبضون عليها، ولهذا هربت.. والكل يقولون إنك أسأت إليها.. ولكنهم أغبياء، إنهم لا يعلمون شيئًا.

وقفزت واحتضنت لويز بين ذراعيها، وقالت:

- هذه هي الحقيقة.. أليس كذلك يا لويز؟ ولويز حكمت عليها بالموت.

وفكر -وهو في غمرة هياجه- في السوار.. منذ أن رآه في معصمها تلك اللحظة لم يره قط.. أين وضعته؟ لم يكن في المنزل من الحلي القليلة الخاصة بها.. كان متيقنًا من ذلك؛ لا لأنها تركت علبة الحلي مفتوحة في غرفة نومها، ولكن لأنه كان يعلم أنها لا بد أن تخبئ هدية جاءتها من عشيقها.. لا بد أنها خبأتها كما خبأت زجاجة الجن وبطاقة ماك أليستر.. وما دام هناك هدية، فلا بد أن هناك غيرها.. وأشياء أخرى

أيضًا.. ربما خطابات.. وربما نقود.

وكانت أنجل تحمل لويز بين ذراعيها وهي تغني أغنية خافتة.

إذا كان ستيف عشيقها، فهل حاولت أن تجعله في قبضتها، فحاول الخلاص منها وقتلها.. لا بد أنه قتلها؛ لأنها أصبحت ذات سلطان عليه وقوة لا تقاوم بسلاح.. ربما خطابات.. وأغرق في الخيال.. إذا كانت هناك خطابات، فلا بد أن ستيف قد أحرقها حينما قتلها، وربما لم يعثر عليها؛ لأنها خبأتها في مكان لم يصل إليه.

لا بد أن هناك مخبأً سريًّا.. مخبأ قد يمكنه أن يعثر عليه، وبهذا يمزق الشرك.. إذ يجعله يكبل الشخص الذي نسج خيوط ذلك الشرك.. إنه سجين هنا في هذا الكهف.. إنه يريد المساعدة.. ولكن...

وسمع صوتًا، وبدا رأس إيملي وكتفاها من خلال فتحة الكهف.. وأسرعت إليه، وقالت:

– لقد فعلتها.. ولم يرني أحد.. لقد أخذت الدراجة إلى الطريق المرتفع، وتركتها هناك بحيث يراها كل إنسان.

وفجأة فكر.. الأطفال.. ولم لا؟ ليس فقط إيملي وأنجل، ولكن الباقين حلفاؤه.

تحول إلى إيملي وهي تتناول طعامها، وقال:

– هل يمكن أن يحضر باقي الأطفال إلى هنا؟

وفي اللحظة التي نطق فيها بهذه الكلمات، أدرك خطأه حينما رأى وجه أنجل وقد اكتسى غضبًا.

وقبل أن يفكر في لحظة أخرى، قالت إيملي في ذعر:

- نحضرهم إلى الكهف! لن تسمح لويز بذلك أبدًا.. أبدًا.. أبدًا.. ستكره ذلك.

قالت أنجل:

- كلا.. لن تكره ذلك..

وكانت أنجل تضم لويز بين ذراعيها، وقد وضعت أذنها عند فمها، وكأنها تسمع كلامها، وقالت:

- لويز تقول نعم.. لويز تقول إن تيمي وليوري وبك يمكنهم القدوم إلى الكهف.. لويز تقول: نعم.. نعم.. نعم.

ابتسم جون في وجهها وقال:

- إذن.. هل تعتقدين أن إيملي يمكنها الذهاب إلى القرية الآن؛ لتخبرهم عن الدراجة، وتحضر الأطفال إلى هنا؟

وضعت أنجل لويز في مكانها، وتحولت إلى جون وقالت:

- سنذهب الآن.. سأركب الدراجة.. وستمشي إيملي.

تبادلت إيملي نظرة مع جون، يُفهم منها أن هذا هو الصواب.. وقالت:

- سأخبرهم عن قدومك من ناحية المروج، وأنني أعرتك الدراجة، ثم نعود مع الآخرين.

- وأعلميني بكل ما حدث.

- سأفعل.

وأمسكت أنجل بعصا صغيرة، وضربت إيملي على ساقيها وقالت:

- هيا.. تقدمي.. أيتها الأمة.

أسرعت إيملي نحو فتحة الكهف، وتبعتها أنجل التي تحولت إلى جون وقالت:

- لماذا ستحضر تيمي وبك وليوري؟ أهي لعبة؟

- نعم.. إنها لعبة.

- سأشترك فيها.. وسأكون الرئيسة كما تقول لويز.. سأكون ملكة اللعبة.. وإذا لم أكن كذلك، فسأذهب إلى الرجال وأخبرهم أنك هنا.

وخرجت الأختان.. ووقف لحظة صامتًا.. وعادت إليه مناظر تلك الغرفة التي غُطيت أرضها بالأسمنت، ومناظر المطاردين وكأنهم كلاب صيد.. وصوت أنجل.. وكاد يهرب من الكهف خوفًا من أن تخدعه أنجل. ولكن فكره اتجه إلى إيملي.. لا شك أنها ستكبح جماحها. وكان التعب قد أخذ منه مأخذه، ليمكث هنا وليحدث ما يحدث.. هذا هو الطريق الوحيد للخلاص.. أن يمكث.. وأن يعتمد على إيملي.. وأن يعتمد على الأطفال، فبمساعدتهم... وقبل أن يستطرد في هذه الأفكار، كان قد ارتمى على الأرض واستغرق في النوم.

استيقظ فجأة، وكان المصباح قد انطفأ، وكان ضوء النهار يبدو متسللًا من فتحة الكهف إلى الداخل.. تُرى كم من الوقت قد نام؟ وهل يصل الأطفال بعد قليل؟

وأوجدت فيه فكرة الأطفال قلقًا.. أهي فكرة صحيحة؟ إنهم خمسة أطفال، قد يسببون له الهلاك بوجودهم معه.. ربما يخدعونه.. وتذكر أنجل.. والمخبأ الذي تضع لندا فيه هداياها وخطاباتها.. لو كان موجودًا.. لو أمكنه أن يجده.. وفكر في حظيرة البقر.. إذا كان عند لندا شيء له أهمية عظمى، وأرادت أن تخبئه، فلن تخبئه في المنزل، بل في حظيرة البقر، حيث تضع أدوات الزراعة الخاصة بحديقتها، ولن يخطر بباله أن يذهب إلى تلك الحظيرة.. هل يمكن أن يحدث هذا؟ ولكن في أي مكان في حظيرة البقر؟ إن «الثلاجة» القديمة هي -من الأثاث- القطعة الوحيدة التي هناك.. ولِمَ لا؟ لم يستعملها أحد.

وفكر في أن يذهب إلى هناك غير مهتم بالخطر الذي يحدق به لو قابله القرويون أو رجال «البوليس». ولكنه أراد أن يقامر.. فإذا ما وجد ذلك المخبأ، أمكنه أن يواجه ستيف ويقف في وجه أهل القرية.. وعاد

به الفكر إلى أنها مخاطرة، وأنه يمكن أن يقوم الأطفال بذلك.. وأن أحدهم يمكنه أن يفعل ذلك دون أن يلمحه أحد من رجال «البوليس» المتربصين هناك للحراسة.

وأتوا أخيرًا.. وسمع صوت خطواتهم وهم يدخلون من فتحة الكهف، وسمع صوت إيملي وهي تقول:

- جون!

فقال:

- إن المصباح قد انطفأ.

فأسرعت هي وأضاءته.. ورآهم جميعًا.. أنجل جالسة عند قدمي لويز، والأولاد في صف واحد.. بك السمين الأحمر الوجه.. تيمي النحيف.. ليوري الصغير الجميل.. وكانوا يتطلعون إليه، وقالت إيملي:

- لقد أخبرناهم.. وجعلناهم يقسمون، وسيقسمون أمامك ثانيًا يا جون. أقسموا جميعًا أن يقوموا بكل ما يُطلب منهم جون، وأنهم لن يخبروا أحدًا بمكانه مهما عُذبوا عذابًا أليمًا، واعترفوا بأنجل زعيمة لهم.

وقالت أنجل وهي تحتضن لويز:

- لقد جعلتهم يقولون ذلك.

وقال ليوري:

- إن الكهف جميل.. إن «السر» جميل.

وقال بك:

- إنهم يبحثون عنك في الغابة.. ولكنهم لن يجدوك.

وقال تيمي مورلند ووجهه محمر:

- كان والدي معهم.. كان يجري وكان ينادي أمي ويقول إنك هربت، وأنك وصلت إلى الطريق، وأنك ذهبت بعيدًا.

وتراءت لجون صورة جوردون مورلند، وهو يجري مع الفلاحين في الغابات، وقالت إيملي:

- لقد أخبرتهم عن الدراجة، لقد أخبرت والد بك، فركضوا جميعًا إليها وسيجدونها.. وسيكون كل شيء على ما يرام.

ووقفت أنجل وهي تضم لويز إلى صدرها، وقالت:

- لقد وجدوا مسز هاملتون.. وجدوا مسز هاملتون.. لقد حفروا وأخرجوها من تحت الأسمنت.

وأخذت تهز لويز.. وكان الباقون يراقبونها. وأخذت ترقص وهي ممسكة بلويز، وبدت عليهم علامات الذعر والهلع.

قالت:

- لقد وجدوها.. وأعتقد أنها بدت بعينين محملقتين مخيفتين، وفم مخيف مفتوح.

وصاح بك ريتر:

- والدماء.. الدماء في كل مكان.. الدماء في ملابسها.. الدماء!

وصاحت أنجل:

- كلا.. كلا.. لا تتكلم بهذا الكلام الفظيع.

وسقطت على الأرض، ودميتها بين ذراعيها.

وكان الرعب القاتل قد استولى على جون، وقال:

- إيملي.. هل حقيقة وجدوها؟

- نعم.. أتى رجال البوليس إلى الحديقة، وكشفوا الأرض الجديدة، و....

كانت عقيدة جون أن لندا قد ماتت، وحاول أن يتصورها حية أمامه، ولكن طغت عليها الصورة الأخرى المخيفة، العينان المحملقتان، والدم يغطي ملابسها.

وتجمع الأطفال حوله، وكانت إيملي ترقبه بنظرات قلقة، وعاد يضبط نفسه ثانية، وقال:

- هل أخذوها يا إيملي.

- لا أعرف.

قال تيمي:

- نعم.. قال والدي هذا.. وأخذوها في عربة مقفلة، وذهبوا.

- ولكن رجال «البوليس» لا يزالون في المنزل؟

- لا أعرف.

وشعر جون بلمسة خفيفة في كم قميصه، فنظر إلى أسفل ورأى

ليوري وسمعه يقول:

– مستر هاملتون.. هل يمكنني أن أذهب إلى هناك؟ هل يمكنني أن أذهب وأرى إذا كان رجال البوليس لا يزالون هناك، ثم أعود وأخبرك؟

قاطعه تيمي وهو يقول:

– لا.. دعني أذهب أنا يا جون.. دعني أذهب.

تزاحموا.. لم يفكر أحدهم فيما إذا كان قد قتل لندا أو لا.. لم يسأل أحدهم عن ذلك.. لم تأتهم الفكرة.. كان الموضوع لعبة بالنسبة إليهم.. مثل اللعبة التي ابتكروها في الغابة، إذا كنت حيوانًا في الغابة، ورأيت إنسانًا ارتجفت وقلت: العدو! وكان لهذه اللعبة أصول وقواعد اخترعوها.

نظر جون إلى تيمي بعطف وقال:

– كلا يا تيمي.. لقد فكر ليوري في هذا أولًا.. إنها فكرته، وهو الذي سيذهب.

– ولكنني أريد أن أفعل شيئًا.

– ستفعل.. ولكنها فكرة ليوري.

وقال ليوري وهو يبتسم ابتسامة مشرقة:

– سأذهب.. سأزحف إلى هناك.. الآن.

– نعم يا ليوري.. ولكن كن حذرًا.. لا تدع أحدًا يراك.

– كلا.. كلا.. اطمئن.. سأرجع وأخبرك.

وركض ليوري نحو فتحة الكهف، وقبل أن يصل إلى هناك نادته أنجل:

- ماذا تفعل؟ لن تستطيع عمل شيء من دون موافقتي.. إنني الرئيسة.

وقف ليوري مترددًا، ونظر إلى جون الذي فكر.. ليلعب على طريقتهم.. ونظر جون إلى أنجل باحترام وقال:

- أنجل.. هل من الصواب أن ترسلي ليوري إلى المنزل؟

نظرت إليه وفي نظرتها كراهية طفولية، ثم حنت رأسها وقالت:

- حسنًا.. أقول يجب أن يذهب ليوري إلى المنزل.

خرج ليوري من فتحة الكهف واختفى.. وقال تيمي وبك في صوت واحد:

- ماذا يمكن أن أفعل؟ ماذا يمكن أن أفعل؟

كان عليه أن يفهمهم أن اللعبة سرية.

وقال:

- كم الساعة الآن؟

قالت إيملي:

- الرابعة والنصف.

- متى تذهبون إلى المنزل لتناول العشاء؟

قال بك:

- في السادسة.

وقال تيمي:

– في الخامسة والنصف.. قالت ماما إن عليَّ أن أرجع إلى المنزل في الخامسة والنصف؛ لكي أغسل يدي وأضطجع قبل العشاء؛ لأنني عصبي واضطجاعي قبل العشاء يهدئ أعصابي.

وقالت إيملي:

– عليَّ أن أرجع أنا وأنجل في السادسة؛ لأن أمي ترجع إلى المنزل من مكتب البريد، وعليَّ أن أتناول العشاء في هذا الميعاد.

قال:

– تعلمون أن حفظ هذا السر من أهم الأمور.

قالت إيملي:

– نعم.. نعم.. نعرف ذلك.

– إن أهم شيء هو الاحتفاظ بهذا السر، ولا تفعلوا شيئًا غير ذلك.

قاطعه تيمي وهو يشعر بالخجل:

– ولكنني أريد...

أخذ جون ينقل بصره من وجه إلى آخر على ضوء المصباح، وهو يود اختيار أحدهم للذهاب إلى حظيرة البقر، ولكنه تصور الرعب الذي يلاقيه إذا ما ذهب إلى هناك، أيمكنه أن يطلب من أحدهم أن يذهب إلى هناك بعد أن يسود الظلام؟ ولكن هذا هو السلاح الوحيد الذي يمكنه أن يحارب به.

وقال:

- من يمكنه أن يذهب إلى حظيرة البقر، من دون أن يثير شبهة؟

قال بك:

- أنا.. ولن يرتاب فيَّ أحد.

وقالت إيملي:

- ويمكننا أن نأتي ثانية.. إن أمي ترجع إلى مكتب البريد بين السابعة والثامنة مساء.. والمفروض أن تذهب أنجل إلى فراشها في الثامنة، وأنتظر عودة والدي، ثم أذهب إلى الفراش حوالي العاشرة لكي نستيقظ مبكرين. وعلى هذا يمكننا الخروج بعد العاشرة، وكثيرًا ما خرجنا ونمنا هنا، ولم يعلم أحد.

وقال تيمي:

- يمكنني أن آتي أيضًا.

وتوقف لحظة ثم قال:

- ولكن يحسن ألا آتي لئلا أثير شبهة.. إن والدي يراجع معي الدروس بعد العشاء، ووالدتي تقرأ لي حتى أنام، فلو أتيت ربما عرفوا.

وسمعوا صوتًا، واتجهت الأنظار نحو فتحة الكهف، وإذا بليوري يدخل، وقد بدا عليه الفخر، وقال:

- ركضت طول الطريق في الذهاب والعودة، ولم يرني أحد، ولم يكن هناك من رجال «البوليس» غير واحد، ومعه سيارة.. وقد ترك

السيارة وأخذ يدور حول المنزل.

وهكذا لا بد أنهم صدقوا حكاية إيملي عن الدراجة، وأعتُقد أنه هرب من تلك النواحي.

قال:

- شكرًا يا ليوري.

- هل قمت بالعمل جيدًا؟

- نعم.

عليه أن يختار واحدًا منهم.. من؟ تيمي العصبي؟ بك؟ ولكنه ابن ستيف.. يجب أن يتجنب ذلك.. إيملي؟ ولكن عليه أن يرسلها بعد الساعة العاشرة مساء.

وكان الأطفال جميعًا ما عدا أنجل متزاحمين حوله.

قال:

- حسنًا.. هذا ما عليكم أن تفعلوه.. وهو أن ترجعوا جميعًا لتناول العشاء، ولا تفعلوا شيئًا حتى صباح الغد. ونظر إلى بك وقال:

- يلزمني طعام. هل يمكنك أن تحضر لي شيئًا من الطعام؟

قال بك بسرور:

- بكل تأكيد.. يمكنني أن أحضر أي شيء.. إنهم يتركونني آكل كما أشاء.. يمكنني أن أحضر لك قهوة أيضًا في إناء.

- حسنًا يا بك.. افعل ذلك بعد أن تتناول عشاءك.

وتحول إلى إيملي وقال:

- هل يمكنك أن تقومي بعمل بالغ الأهمية بالنسبة لي؟

- نعم.. نعم يا جون.

- هل يمكنك العودة إذا ما ذهبت والدتك إلى الفراش، وأن تحضري مصباحًا كهربيًّا معك؟ وهل تخافين إذا أرسلتك إلى حظيرة البقر؟

اصفر وجه إيملي، وقالت:

- حظيرة البقر! حيث...

- نعم.. هناك شيء.. شيء أريد منك البحث عنه.

صاح بك:

- دعني أنا أفعل هذا.. إنها فتاة.

- لا يا بك.. هناك سبب. إيملي هي التي أريد أن تفعل هذا.. هل يمكنك الذهاب؟

وقبل أن تجيب ركضت أنجل إليهم.. بعد أن تركت لويز.. ووجهها يلتهب غضبًا، وقالت:

- أنا التي سأذهب، لن أدع إيملي العجوز تذهب، سأذهب إلى الحظيرة.. أنا الرئيسة.

ووقفت أمامهم متحدية، وقالت إيملي:

- نعم.. نعم.. دع أنجل تذهب.. إنني خائفة، إنني أخاف من

الذهاب إلى الحظيرة في الظلام.. والدم هناك.. والخفافيش وشبح مسز هاملتون.

وكانت أنجل واقفة أمام جون، وأخذت شفتها السفلى ترتجف.

واستمرت إيملي في كلامها:

- الشبح، دع أنجل تذهب إلى الشبح، دع الشبح الأبيض يتقدم إليها.

وصرخت أنجل، ووثبت مبتعدة، وجلست حيث كانت وصاحت:

- كلا.. لن أذهب إلى تلك الحظيرة البغيضة، إيملي هي التي تذهب، تذهب إلى الشبح.

وتقابلت عينا إيملي وجون، وأشارت إليه بعينها، وابتسم جون وقال:

- حسنًا.. إيملي تذهب إلى الحظيرة، لقد تقرر هذا، وعلى تيمي وليوري أن يفعلا شيئًا غدًا.. تعاليا إليَّ هنا مبكرين صباحًا، والآن عودوا جميعًا إلى المنازل، وكلكم تعرفون.

وردد الأطفال جميعًا القسم، وبينما كانوا يفعلون ذلك، تقدم جون وجلس بجانب أنجل.

- أنجل.

- اذهب بعيدًا.

- يا أنجل العزيزة، هل يمكنك أن تسدي إليَّ معروفًا، حينما تذهب إيملي إلى الحظيرة، هل يمكنك أن تحضري معها وتأتي إلى

هنا، على حين تكون هي هناك؛ حتى أشعر باطمئنان لوجودك معي؟

فكر في ذلك لأن تركها وحيدة في المنزل قد يثير اضطرابًا.

قالت:

- أنا وأنت على انفراد؟

- نعم.

- ودون وجود إيملي! إيملي ستذهب إلى الحظيرة وربما يأكلها الشبح!

- قد يحدث هذا.

- أنا وأنت.. إذن أنا التي تحبها؟

- نعم.

نهضت وقالت:

- أنا ولويز.. سأتي.. وسترسل إيملي العجوز.

وكانت إيملي تقترب منهما، ونظرت إليها أنجل بمكر وقالت:

- ارفعني يا جون.. ارفعني.

انحنى وحملها، فطوقت عنقه بذراعيها، وقبلته في وجنته، ثم نظرت نظرة جانبية لإيملي وقالت:

- إنني أحب جون، إنني أحبه، وهو يكره إيملي. قلها يا جون، قل إنك تكره إيملي.

ونظر إلى إيملي، وسمعها تقول:

- إن جون لا يكرهني.

قالت أنجل:

- بل يكرهك.. قل يا جون.. قل إنك تكره إيملي.

قال:

- أنا أكره إيملي.

وحاول أن يجعل إيملي تنظر إليه، ولكنه ما إن نطق بهذه الكلمات، حتى تركته بخشونة وابتعدت.

وخرج الأطفال من الكهف، وفكر وقد شعر بخوف عظيم، بالتأكيد لا تصدق إيملي ما قال! هل بلغت بها الطفولة هذا الحد؟ هذا لا يعقل!

وضع أنجل على الأرض، وقال:

- إيملي.

ولكنها كانت قد خرجت من الكهف.

وقالت أنجل:

- إنها مجنونة.. إنها مجنونة جدًّا.. إنها الآن تكرهني وتكرهك.

وسارعت إلى فتحة الكهف، ولوحت له بيدها الصغيرة وهي تقول:

- إلى اللقاء يا جون الحبيب.. إلى اللقاء.

واختفت.

كانت الساعة السادسة والنصف حينما عاد بك بالطعام، ولم يكن قد مضى وقت طويل على ذهاب الأطفال. وكان قد خرج وكشف الموقع بحذر، ورفعت نسمة المساء الرطبة روحه المعنوية، وهدأت أعصابه بعد تلك المؤثرات الكثيرة والرعب الذي لاقاه. واضطجع على الأرض يسمع تغريد الطيور وأصوات الحشرات، وفجأة رأى بك يعدو ناحيته، ويداه محملتان بالعلب و«الربطات» وصاح:

- هالو جون.

وكان صوته عاليًا يتبين فيه السرور، وقال جون:

- بك! بك، إن الصوت يسري في الغابات، ربما يسمعون في المنزل.

فانخفض صوت بك حتى أصبح همسًا، وقال:

- آسف يا جون، وها قد أحضرت الطعام.

وجلس على الأرض، وعرض ما أحضر من مختلف الطعام وقال:

- أيمكننا أن نأكل الآن؟ أكاد أموت جوعًا، أيمكننا أن نأكل؟

- بكل تأكيد.

وكان بعض الطعام ملفوفًا في جريدة «النسر» وقال بك:

– في الصفحة الأولى نشرت الجريدة أن امرأة عُثر عليها مقتولة في حظيرة البقر في منزل بستونفيل، وزوجها الفنان قد هرب. وهناك وصفك وطلب بالقبض عليك. وفيها حديث عن اجتماع مجلس المدينة خاص بالتصويت عن الفندق، وحضورك الاجتماع. يجب أن تقرأها.. لقد جنوا جميعًا.. وهم يركضون ويصيحون.

ونظر إلى وجه جون الغاضب وقال:

– آه لو علموا أنك هنا!

– هل لا يزال هناك جندي واحد في المنزل؟

– نعم.. وقد أعطوه وصفك، كما طلبوا ممن يقابلك أن يقبض عليك. جون.. أي شيء تريد البحث عنه في حظيرة البقر، دعني أبحث لك عنه.. يمكنني أن أتسلل إلى هناك من دون أن يراني أحد، بل يمكنني أن أخدعهم مدعيًا أنني أريد أن أشاهد منزل الرعب، ثم أدخل.

وتساءل جون، لماذا لا يفعل؟ ألأنه ابن ستيف؟ بالعكس هذا يساعده لأنه معروف، ربما لا يمكن أن تقوم إيملي بذلك، وربما لا يسمحون لها بالخروج في الظلام إذا كشفوا ذلك.

وقال:

– إنك تعرف حظيرة البقر؟

– بالتأكيد أعرفها.

- حسنًا يا بك.. أصغ إليَّ.. هناك بجانب الباب ترى «الثلاجة».

وأخبر الولد عما يبحث عنه هناك، وكلمه عن السوار المنقوش عليه اسم لندا بصفة خاصة، وقال:

- وإذا لم تجد شيئًا فيها، فحاول أن تبحث في أي مكان آخر، هل يمكنك أن تقوم بذلك؟

قفز بك على قدميه وهو يقول:

- بالتأكيد يمكنني.. لا تخش شيئًا.. سأذهب الآن إلى هناك.

واندفع إلى الخارج، وفكر جون، ربما يجد بك هناك ما يريد أن يجده.. وإذ ذاك سيتغير كل شيء، ولكن بعد قليل استبد به القلق، هل يمكنه أن يعتمد على ابن ستيف ريتر؟ ماذا يحدث لو أخبر والده بذلك؟ إذن يكون قد وقع في فخ آخر! طغى عليه الألم، ورجع إليه مرأى الرجال وهم يطاردونه في الغابات. يجب أن يتصل بفيكي.. لماذا لا يفعل؟

وأخيرًا رأى بك يعود إليه، وعلى فمه ابتسامة، وهو يحمل صندوقًا من الجلد أحمر اللون، وأعطاه الصندوق وقال:

- هذا هو ما تريده، كان هناك في الثلاجة، ولم أستطع رؤيته في بادئ الأمر، لم يكن هناك سوى زجاجة بها شراب، وبحثت وأخيرًا وجدت الصندوق.. فجئت به إلى هنا.. وكان رجل «البوليس» لا يزال جالسًا في سيارته، وهو جورج الذي أعرفه، وكان يتناول عشاءه، ولم يرني.

أخذ جون الصندوق بأصابع مرتجفة، ورفع غطاءه، وأول ما رآه فيه السوار، وكان كما وصفته أنجل، وعليه النقوش، وكانت هناك حلي أخرى: أقراط، وقلادة، وغيرها. واسترعى انتباهه خاتم به حجر ثمين.. ماس! ولم يهتم بالحلي، وإنما استرعى اهتمامه شيء آخر هو أحد أشرطة جهاز التسجيل، وهو خاص به، فالتقطه وأخذ يقلبه بين يديه، فوجد ورقة ملصقة به، وقد كُتب عليها مندلسون.. بحر هادئ.. ورحلة موفقة.

أخذ ينظر إليه ويفكر، إنه الشريط الذي لم يجده في غرفة جلوس الأسرة، إنه آخر شريط سجل عليه ويستغرق حوالي نصف ساعة، وقد سجل عليه حوالي عشر دقائق، لا يزال في نهايته حوالي عشرين دقيقة لم تُسجل.

أدرك في الحال، إن لندا لم تكتب خطابات حب، ولكنها كانت تسجلها على شريط، تسجل ماذا؟ محادثات! وأخذ يحاول أن يتذكر ما سجله عليه من قبل، منذ حوالي أسبوع.

وسمع صوت بك وهو يقول:

- جون! ما هذا الشيء؟ أهو شريط مكتوب عليه بالآلة الكاتبة؟

وهكذا وضح كل شيء.. لندا لها عشيق، ولكن من هو؟ أهو ستيف ريتر؟ وتناول الخاتم وفحصه، إن الحجر من الماس الثمين، وهناك جواهر في القلادة. كيف يمكن أن يتحمل ستيف ريتر نفقات كل هذا؟ قطعًا لم يكن هو ستيف، وتذكر كلامها الخاص به.

إذن من هو؟ واحد من آل كاري.. براد.. لا.. إن براد كان معه في نيويورك في أثناء وقوع الجريمة، المستر كاري؟ الرجل العجوز المريض! غير معقول! إذن هو جوردون مورلند.

وعاد إليه منظر جوردون مورلند وهو يجري في الغابات مع أهل القرية، ويدفع ستيف ريتر أمامه.

وبلغ الهياج مداه، الشريط في يده، وكل ما عليه أن يفعله هو أن يحصل على جهاز التسجيل، ويضع الشريط؛ فيعرف كل شيء. أين يمكنه أن يفعل ذلك؟ في منزل آل فيشرز، ولم لا؟ إن جهاز التسجيل مكسور، ولكن يمكنه أن يصلحه.. نعم.. سيرسل واحدًا من الأطفال إلى بتسفيلد في الصباح، وبمجرد أن يدير الشريط سيعلم كل شيء.

وبدأت الغيوم الملبدة تنقشع من حواليه، وشعر بالخطر يبتعد عنه ويتضاءل.

وقال:

– بك.. أصغ إليَّ.. هل يمكنك أن تدع رجل «البوليس» يسمح لك بالدخول إلى المنزل؟

أشرق وجه الصبي، وقال:

– هل تريد أن أرجع.. أن أذهب إلى المنزل؟

– هل يمكنك أن تفعل ذلك؟

– نعم.. بالتأكيد يسمح لي جورج.

– إذن أصغ إليَّ.. دعه يسمح لك بالدخول إلى المنزل، هل تعرف

جهاز التسجيل؟

- جهاز التسجيل؟ نعم.

- إنه في غرفة جلوس الأسرة، أسقطه من النافذة في حوض الزهور، ثم اخرج من الباب الأمامي، كما دخلت، وحاول أن تجد فرصة لكي تأخذه من مكانه وتحضره إلى هنا.

قال بك:

- وهكذا تجلس هنا وترسل خيلك.. وسوف يقوم بك بتنفيذ المهمة في لمح البصر.

ونهض، ثم انطلق واختفى بين الأشجار.

❊ ❊ ❊

جوردون مورلند!

وانتظر على الحشائش الخضراء وهو يفكر في عدوه هذا.. كان متيقنًا من ذلك الآن.. كان تأثيره على لندا قويًّا.. كانت تحب الترف الذي يتمتع به والذي حرم جون إياه. وكان يعتمد على روز زوجته ويخشاها. ورأت فيها لندا منافسة قوية لا شك أنها يرضيها أعظم الرضا أن تسرق زوجها منها، وتستفيد بهداياه الثمينة. وربما فكرت في أن يطلق زوجته ويتزوجها بعد أن يطلقها هو.. جون.

وأخذ يرتب في مخيلته الوقائع: قبل أن يصل خطاب آل رينز إليه، هددت لندا جوردون بشريط جهاز التسجيل.. طلق روز.. وتزوجني.. وإلا.. وربما كان ما فعلته يوم عيد ميلاد فيكي هو لكي تظهره بمظهر الضعة والنذالة.. فيطلقها.. إنها ماكرة لعوب، ولما رفض العرض الأخير الذي يمكنها من حياة الترف، ووجدت أنه لا فائدة من قبوله العرض، اتجهت مباشرة إلى جوردون مورلند، وقالت: أنت ثري. لقد أثبت جون نهائيًّا أنه لا فائدة منه لي، وأنه لا يصلح لي.. حسنًا.. يمكنني أن أعتمد عليك الآن.. استعد.

ولقد استعد فعلًا.. أعلن للجميع موضوع ضرب جون للندا بعد

أن تشاجرا.. ولما سافر إلى نيويورك في اليوم التالي وجد جوردون في تلك الفرصة السانحة، وأمكنه أن يقتلها ويلقي التهمة على جون. طلب الأسمنت في الصباح الباكر حينما كان جون لا يزال في ستونفيل.. إذن أمكنه أن يرتكب جريمته، ثم بعد ذلك يسافر إلى نيويورك.

هذا كل ما حدث.. وكل ما عليه الآن أن يعمله هو أن يحصل على جهاز التسجيل، ويصلحه، وبذلك ينتهي كل شيء.

وعاد بك في أقل من نصف ساعة، وهو يحمل جهاز التسجيل ويصفر بمرح. وفجأة توقف عن الصفير وقال:

– كان جورج جالسًا في العربة يدخن سيجارة، وقلت له: هل تقوم بحراسة منزل الرعب؟ قال إنه سيمكث حتى منتصف الليل. وتراهنت معه على أنني أستطيع الدخول إلى المنزل وحدي، وأجول في حجراته بلا خوف، فضحك ورمى لي المفتاح.

فحص جون الجهاز بدقة.. لم يتلف.. هل هناك تيار كهربي في منزل آل فيشر بعد أن تركوه عدة شهور؟ سيرسل أحد الأطفال غدًا ليتيقن.. غدًا يمكنه أن يسمع الشريط في منزل آل فيشرز.. فيعرف.

واستمر بك يتكلم:

– فتحت النافذة.. وألقيت الجهاز برفق، وأغلقت النافذة وخرجت من الباب الأمامي، وذهبت إلى جورج وقلت: الآن ما رأيك؟ لقد مكثت ما يزيد على خمس دقائق جست خلالها كل مكان في المنزل، فما رأيك في الرهان؟ فأعطاني السنت الذي اتفقنا عليه،

وغافلته وأخذت الجهاز من حوض الزهور، وها قد أحضرته لك.

وكان وجه بك الأحمر يطفح ابتسامًا وانتصارًا، وقال:

- هل تريد أن أذهب ثانيًا يا جون؟ يمكنني أن أفعل، أراهنك أنه يمكنني أن أفعل.

نظر جون إلى ساعته، وكانت قد تجاوزت الثامنة، وقال:

- كلا يا بك، إن ما فعلته يكفي. يحسن أن تعود إلى المنزل.. لا يجب أن نخاطر أبدًا.

- ولكن يا جون.

- كلا يا بك.. أشكرك كثيرًا جدًّا.. أنت ظريف.. أنت عظيم، ولكن الآن يحسن أن تذهب إلى المنزل، وسأراك غدًا، وأحضر لي الفطور.

لم يكن في حاجة إلى إيملي الآن، هل يطلب من بك أن يقف أمام منزل آل جونز، ويخبر البنتين بألا يحضرا. يحسن ألا يبعد أنجل عن ناظريه.. وتذكر رحيل إيملي عن الكهف وهي غضبى، يجب أن يصلح الأمور مع إيملي.

ولما ذهب بك، أخذ جهاز التسجيل وعلبة لندا إلى الكهف، وكان المصباح قد انطفأ، فوضع الجهاز والعلبة في ركن، واضطجع على فراش إيملي في الظلام.

وبدا له الوقت طويلًا، ولم يحتمل الانتظار حتى الصباح لإصلاح الجهاز، وصفا تفكيره الآن. هل يمكنه أن يدفع اتهامات رجال

البوليس بما سيسمعه في الشريط؟ ماذا يثبت؟ إنه يثبت العلاقة بين جوردون مورلند ولندا، ولكن هذا قد يكون دليلًا ضده.. ربما يعتبره الكابتن جرين كدافع آخر لقتله زوجته! وشعر بالقلق يعود إليه.. هذا ما لم يفكر فيه.

وتضاربت الأفكار في مخيلته، وسمع أخيرًا نعيق البومة، ثم سمع صوت أنجل وهي تقول:

- جون.. حبيبي جون، هل أنت هنا يا حبيبي جون؟

- إنني هنا.

ولم يكن يستطيع أن يرى شيئًا في الظلام.

وقالت أنجل:

- إيملي.. أنيري المصباح.

ولم تفعل إيملي، فصاحت أنجل بصوت آمر:

- إيملي.. أنيري المصباح.. ألم تسمعيني؟ نريد جميعًا أن تنيري المصباح، أطيعي الأمر أيتها الأمة.

أحس بها جون تمر بجانبه، ثم أُضيء المصباح، وكانت أنجل واقفة بجانب فتحة الكهف، وقد أمسكت ببعض اللعب، وابتسمت لجون وتقدمت وألقت باللعب بجانب لويز، وقالت:

- لقد أتيت لأقضي الليل معك ومع لويز، وتذهب إيملي إلى هناك ويأكلها الشبح.

ونظرت إلى جون وطوقته بذراعيها، وقالت:

- آه.. أنا أحبك كثيرًا.. أحبك.. أحبك.

وأتت إيملي بالمصباح ووضعته على الأرض، ونظر إليها جون بقلق، وكان وجهها جامدًا، وقد تحاشت نظراته.

وقالت:

- هل تريد مني أن أذهب إلى الحظيرة الآن؟ لقد أحضرت مصباحًا كهربيًّا.

وقالت أنجل:

- نعم.. اذهبي الآن، الآن.

قال جون:

- حسنًا يا إيملي، لا حاجة بك للذهاب، لقد أحضر لي بك طعامًا، وكان يعرف رجل «البوليس»، وبدا لي أن الأسهل أن أدعه يذهب، وقد أتم كل شيء.

ودون أن تنظر إليه قالت:

- ولكنك قلت إنني أنا التي أذهب!

- نعم.. وأنا آسف، ولكنني فكرت أنك ستسرين لعدم الذهاب!

- ولكنك قلت إنني أنا التي أذهب، اخترتني.

قال:

- إيملي يا حبيبتي...

صرخت أنجل:

- لا تقل يا حبيبتي.. لا.. لا.

- إيملي.

- إنها ليست حبيبة أحد، إننا نكرهها.. إننا نكرهها. وهي لا يمكنها أن تذهب إلى الحظيرة وترى الشبح لأنها جبانة، ستفسد كل شيء، ولهذا أرسلت بك لأن إيملي جبانة غبية.

وبدأت أنجل ترقص بجنون.

وفجأة انزاح قناع الجمود عن وجه إيملي، فارتجف فمها وفقدت السيطرة على أعصابها، وهطلت الدموع من عينيها وقالت:

- لا يمكنني أن أحتمل كل هذا.. لا يمكنني! هذا كثير، وددت لو كنت ميتة.

واتجهت ناحية فتحة الكهف.

اندفع جون وراءها وهو يصيح:

- إيملي!

ولكن قبل أن يصل إليها، اضطر إلى أن يتوقف بعد أن سمع أنجل تصيح مهددة:

- لقد ذهبت، ذهبت إيملي العجوز، لا تذهب وراءها، إياك أن تذهب! إذا ذهبت فسأقول كل شيء.

تجاهل جون تهديدها واندفع نحو فتحة الكهف، واستمرت أنجل تصيح:

- سأخبرهم، سأذهب إليهم، سأقول لهم أين هو جون هاملتون الشرير. سأصرخ، هناك رجل بوليس في المنزل، سأصرخ وسيسمعني.

وانقطع صراخها فجأة حينما اندفع جون إلى الخارج، وأخذ يبحث بين الأشجار، وسمع صوت مفتاح دراجة إيملي وهي تفتح القفل لتسير وهمس: إيملي.. إيملي.. انتظري.

واندفع ناحية الصوت، وأمكنه أن يرى إيملي بوضوح، وتقدم منها ووضع يده على ذراعها، فدفعت يده بعيدًا بعنف وقالت:

- لا تمسني.

- إيملي.. يا إيملي الحبيبة.

وأمسك بالدراجة، وتركها فسقطت، ثم طوق بذراعيه جسدها الصغير المرتجف.

- إيملي.. لا يمكن أن تصدقي شيئًا من ذلك، أنت تعرفين أنني أحبك، وأنت تعرفين أنني أرسلت «بك» لأنني وجدت هذا أسهل.. لماذا تهتمين بكلامها؟

أخذت إيملي تبكي بيأس وقالت:

- أنت تكرهني.. لقد قلت ذلك.. قلت إنك تكرهني.. وكنت أحاول أن أساعدك، وكنت أحاول أن أفعل أشياء مفيدة.

ضمها إليه بشدة، وقال:

- أنت تعرفين لماذا قلت ذلك.. قلته بسبب أنجل، اضطررنا أن نفعل كما تقول، ألا ترين؟ يمكنها أن تفسد كل شيء.

- ضغطت إيملي بوجهها على صدره، وقالت:

- إنني أكرهها، ولكن هذا غير صحيح، إنني أحبها، ولكنني أكرهها لأنها قالت: جون يكرهك، أيتها الأمة الغبية.. إنني أكرهها وأود قتلها.

- ولكن هذا لن يستمر طويلًا يا إيملي، كل شيء يتوقف عليكِ، لن يستغرق هذا إلا مدة قصيرة، أعدك بذلك، دعيها تفعل ما شاءت، سينتهي كل شيء غدًا، إنها شريرة حسود وضيعة، ولكن.

وإذ ذاك سمع صرخة حادة دوت بجانبه، فترك إيملي مرتاعًا، وقد غطى وجهه العرق البارد.. ووجد أنجل بجانبه فأمسك بها ووضع يده على فمها قبل أن تصرخ صرخة ثانية، وأخذت تناضل بين ذراعيه، وقال:

- بسرعة يا إيملي.. ارجعي إلى الكهف.

- ولكن رجل «البوليس» لا بد أنه سمع.

وبينما هو يرفع أنجل المتخبطة بين ذراعيه، ويتجه نحو الكهف، سمع نعيق بومة، فعرف أنها إيملي وسمعها تقول:

- سيسمع نعيق البومة، فيظن أن ما سمعه صوت أرنب أو نعيق بومة، اتبعني.. لنرجع إلى الكهف.

كانت السعادة تبدو في وجهها وصوتها لأنها أنقذته، عادت إيملي كما كانت، وكانت أنجل لا تزال تخبط بين ذراعيه. واتجها نحو الكهف.. ودخلا.. وتركها وقد صارت كالقطة الهائجة، وأخذت تصيح:

– لقد قلت إنني حسود شريرة، لقد سمعتك. غدًا سأخبرهم، لا يمكنك أن تمنعني.. سأرجع غدًا.. وستعلم أمي.. وسأخبرهم جميعًا.. سأقول إن إيملي تخبئ جون في الكهف.

نظر إليها جون وارتجف، لا بد أنها تعني ما تقول.. وستفعل ذلك وهي في سورة غضبها، ولا يمكن أن تبقيها إيملي بالقوة. ومهما اخترعت إيملي من حكايات، فلن تقبل مسز جونز اختفاء ابنتها ذات السابعة من عمرها. إذن لا بد أن تذهب أنجل إلى القرية غدًا.

وظل صوت أنجل يدوي في جميع أرجاء الكهف، وهي تصيح:

– سأخبرهم.. سأخبرهم.

وكانت إيملي تقف هادئة بجانبها، وفجأة نظرت إلى جون ثم إلى أنجل وقالت:

– لن تفعلي ذلك.

– سأفعل.. وستذهب يا جون إلى السجن، وتمكث فيه سنوات وسنوات.

– كلا.. لن يذهب أحد إلى السجن.

وضحكت إيملي وركضت إلى لويز، وأخذتها وأخذت باقي اللعب وقدمتها إلى جون وقالت:

– احتفظ بها.. لا تدعها تأخذها.

قفزت أنجل على قدميها، واندفعت نحو إيملي التي قالت:

– سنعود غدًا إلى المنزل حينما ينتشر الضوء، ولكنك لن تخبري

أحدًا؛ لأن جون سيحتفظ بلويز وبباقي اللعب، وإذا قلت كلمة فسيمزقها وسيخرج عيني لويز.

ناضلت أنجل، وقد بدا الرعب على وجهها، وقالت:

- كلا.. كلا.. أعطوني لويز.. أعطوني لويز.

- سيحطمها جميعًا. ولكن إذا فعلت ما نقول لك، فلن يفعل. أقسمي بلويز ألا تفعلي..

انهارت أنجل، وقالت:

- سأقسم.. سأقسم بلويز.

- أقسمي.

- أقسم بلويز أنني لن أخبر أحدًا.

- وستتركين لويز وباقي اللعب مع جون.. واعلمي أنك إذا حنثت في قسمك فسيحطمها جميعًا.

وكانت أنجل تنتحب بيأس، ثم اتجهت نحو فراشها، وتحولت إيملي نحو جون، وقد أضاء وجهها بنور الانتصار، وقالت:

- هذا أرجعها إلى صوابها، دعها تذهب إلى فراشها، ولتنم بجانب فتحة الكهف لئلا تذهب.

وشعر جون بالراحة، وطغى عليه شعور بالشكر وعرفان الجميل لإيملي ولعملها العجيب.. وأخذ يفكر في هدوء، سيصلح الجهاز وسيفلت من الشرك، وقال:

- لننم الآن.

- يجب ذلك.

وذهبت إيملي إلى أنجل، وقالت:

- سأشاطرك فراشك.. وسننام معًا.

وكانت عينا أنجل قد تورمتا من البكاء.. وفجأة طوقت عنق أختها بذراعيها وقالت:

- إيملي.. إيملي.. لن يؤذي لويز.. أليس كذلك؟

- طبعًا لن يؤذيها ما دمت لا تتكلمين.

- آه.. لن أتكلم.. أكره أن أكون شريرة.. آه.. أكره ذلك.

- حسنًا يا أنجل.. نامي.

وأعدت إيملي فراش جون بجانب فتحة الكهف، وقالت:

- يحسن أن تحتفظ بلويز واللعب الأخرى معك.. إنها تنوي أن تكون طيبة. ولكننا قد لا نعتمد على ذلك. هل أطفئ المصباح الآن؟

- نعم.

وساد الظلام.. واضطجع جون، وقد احتضن لويز واللعب. وبعد قليل سمع صوت إيملي بجانبه وهي تقول في همس:

- جون!

- نعم يا إيملي.

جلست بجانبه، وقالت:

- أنا آسفة.. لم أكن أقصد.

ضغط على يدها، وقال:

- لا بأس.

- جون!

- نعم يا إيملي.

- أنا أحبك.

* * *

أيقظته يد إيملي وقد وضعتها على كتفه، وقالت:

- لقد بزغ ضوء النهار، سنذهب يا جون.. خذ اللعب، لا تدعها تأخذها. سنرجع بأسرع ما يمكن.

وخرجت الفتاتان، واحتفظ باللعب، ثم تركها في الكهف وخرج. ولم تكن الشمس قد أشرقت بعد، ووجد ينبوع ماء فغسل وجهه واستعاد نشاطه.

وكانت لحيته قد طالت، وتمنى لو يحضر بك ويحضر له الموسى من المنزل.

لو علم جوردون من الأطفال أن بك قد وجد علبة بها جواهر ومعها شريط تسجيل.. ماذا يحدث؟

ورأى شيئًا يتحرك وسط الاشجار، فارتمى على وجهه مختبئًا فرأى بك «ببنطلونه» الأزرق، فوقف وقال بصوت منخفض:

- بك!

ورآه الولد.. وتقدم منه، وهو يلهث:

- آه.. جون! لقد أحضرت لك فطورك.

- هل هناك أخبار؟

- المستر مورلند ظل يصيح طول الليل: هل هناك أخبار؟ لماذا لا تواصلون البحث؟

وتناول جون فطوره.

إذا ما أذاع تيمي أن الأطفال قد وجدوا علبة بها جواهر وأشرطة في منزل آل فيشرز، فسيعرف جوردون مورلند أن لندا كانت تحتفظ بأشيائها في منزل آل فيشرز فيندفع إلى هناك.. وإذا ذهب جون إلى هناك ومعه شاهد، ويمكن أن يكون ذلك الشاهد فيكي، بهذا يمكن أن ينصب الشرك، ويمكن أن يخبئ العلبة هناك كطعم، ولكن من دون شرط.. إذ...

وتحول جون إلى بك وقال:

- أنت تعرف الشريط الذي في العلبة والذي ظننته شريط آلة كاتبة.. هناك في الأُستوديو بجوار الأسطوانات وقطع القماش ستة أو سبعة من هذه الأشرطة.. هل يمكنك أن تجري وتحضر واحدة منها من دون أن يراك أحد؟

- بالتأكيد أقدر.. هل أذهب الآن؟

- نعم.

واندفع بك إلى الخارج.

ما دام سيذهب إلى منزل آل فيشرز فالأفضل أن يكون ذلك في الليل.. ويكون جهاز التسجيل قد أصلح.. ويمكن أن يستعمل الشريط

مع فيكي في منزل آل فيشرز. وبعد ذلك سيعرفون أن جوردون قد أتى للبحث عن العلبة، حينما يخبره تيمي. ولكن هل يمكن الوثوق بتيمي؟

وسمع صوتًا، ورأى ليوري الذي قال:

- إنني جئت.

- أهلًا ليوري.

- لقد تأخرت.. والسبب أنني ذهبت لإحضار تيمي.. ذهبت أولًا إلى منزل تيمي لكي نجتمع ونأتي معًا، ولكنه لا يمكنه أن يأتي.. لقد قالت والدته ذلك.. قالت إن عنده حمى لأنه لعب كثيرًا أمس.. وهو راقد في الفراش.

وحنى رأسه بأسف ورفعه ثانية، وقال:

- ولذا لا يمكنه أن يأتي.. وهي تقول إنني يمكنني أن أراه في موعد تناول الشاي، أي في الساعة الخامسة حينما يتحسن، فأذهب إليه وأسليه كما تقول.

وفك «ربطة» أتى بها معه، وقال:

- لقد أحضرت لك بعض «الساندوتشات».

انزعج جون.. ولكنه فكر وعاد إليه الاطمئنان. يمكن أن يقوم ليوري بما أراد أن يقوم به حينما يزوره في الساعة الخامسة، يمكن أن يخبر تيمي بموضوع العلبة والجواهر والشريط، حينما يكون جوردون موجودًا.. والأفضل أن يعطي كلًّا من الأطفال «دلاية» من السوار يقول إنه احتفظ بها ليلعب بها، وفي كل منها حرف من اسم لندا. إذن فلا

حاجة لحضور تيمي.

سيحمل ليوري الطعام.. أما فيكي...

وقال:

- ليوري.. هل رأيت مسز كاري هذا الصباح؟

- نعم.. لقد أتت إلى المطبخ وأنا أعد «الساندوتش».

- هل قالت إنها ستخرج هذا الصباح؟

- سألتني عما سأفعل، فقلت إنني سأذهب إلى الغابة.. فمدحت نشاطي، وقالت إنها لن تخرج، وستستريح وتقرأ طول النهار.. هذا ما قالته.

وهكذا.. ستكون فيكي هي الشاهدة.

وبهذا يعد الشرك.

ورجع بك ومعه الشريط، وقال إن رجل البوليس الجديد الذي أخذ مكان الأول لم يره. ورجعوا إلى الكهف، ثم رجعت إيملي وأنجل، وكانت أنجل صامتة، واتجهت نحو اللعب، وأخذت لويز ووضعتها على الأرض وجلست بجانبها.

والآن عرف جون ما سيفعل تمامًا، يجب أن ينظم الأطفال ويحدد لكل منهم عملًا.. أحصى ما يلزمه لإصلاح الجهاز، وكتبه في ورقة وأعطى بك النقود وأرسله مع ليوري إلى بتسفيلد لشرائها، وقال لبك:

- أعطه الورقة، وقل إن والدك هو الذي أرسلك.

ولما ذهب الطفلان أخرج الشريط من علبته الجلدية، ووضعه في جيبه، ونزع الدلايات من السوار، ووضعها في جيبه أيضًا، وقرر أن يكون المخبأ خارج منزل آل فيشرز في الحديقة.

واختار إيملي لكي تعد الشرك، وأوضح لها ما تفعله، وهو أن تخبئ الصندوق في وسط الأشجار المتسلقة في شرفة المنزل، وأن تختبر النور لتتيقن أن التيار الكهربائي بالمنزل.

أعاد تعليماته عليها، وأخذت العلبة واندفعت خارجة من الكهف.

وبينما كان الأطفال الآخرون هناك، لم تنظر أنجل إليه، ولكن حينما خرجوا تركت لعبها وأقبلت إليه وقالت:

- ألا تزال غاضبًا مني؟

- يا أنجل.. لست غاضبًا.

- لست الرئيسة بعد.. إنها إيملي.

- يمكنك أن تكوني الرئيسة إذا أردت...

- أيمكنني؟ أيمكنني؟

وابتسمت وقالت:

- أيمكنني إذن أن أفعل شيئًا مثل الآخرين؟ الكل يعملون.

- يمكنك أن تمكثي معي، وأن تخرجي معي، وتنتظري رجوع الآخرين.

- آه..

وخرجا معًا وجلسا على صخرة، وقالت أنجل:

- إنني أحبك.

- وأنا مسرور بذلك.

- ولم أهتم حينما ألقيت لويز وميكي والبقرة في الوحل.

- أنا آسف يا أنجل.

وابتسم لها فتأثرت وقالت:

- يا حبيبي جون.

- نعم يا أنجل.

- أيمكنني أن أحضر لويز وميكي والبقرة إلى الخارج معي في ضوء الشمس؟

- ولِمَ لا؟

ذهبت راكضة تجاه الكهف. وفكر جون، سيعود الأطفال عند الظهر، وفي الساعة الرابعة سيرسل رسالة مع إيملي إلى فيكي يطلب منها أن تقابله في منزل آل فيشرز.. وسيتسلل خلال أشجار الغابة حاملًا جهاز التسجيل وينتظرها. وسيذهب ليوري إلى منزل آل مورلند لينصب الشرك، ولن يره أحد وهو يتسلل بين الأشجار، برغم أن الضوء سيكون كافيًا للرؤية.

وقطع أفكاره عدم عودة أنجل، قفز يتلاعب به القلق والخوف وركض نحو الكهف، ودخل، ولم تكن أنجل هناك، ولم تكن اللعب هناك، لقد ضحكت عليه وتغفلته.. هربت بلعبها.

لكم كانت طفلة ماكرة خادعة.

وشعر بالخطر العظيم يحدق به، وشعر بألم فظيع، وخرج من الكهف، واندفع يجري بين الأشجار، وأمكنه أن يلمح أنجل وهي ممسكة بلعبها تختفي وسط الأشجار.

خفق قلبه، واندفع وراءها، وهناك على مقربة من منزله رأى رجل البوليس الحارس، ركض إلى هناك غير محاول أن يخفي نفسه، وكانت على بعد ياردات منه، وهي تجري نحو المنزل.

وفي ثوان أمسك بها، ولكنه قبل أن يفعل ذلك كانت قد صرخت صرخة مدوية، رفعها عن الأرض، ووضع يده على فمها، فسقطت اللعب وتناثرت على الحشائش، ورجع يجري حاملًا إياها وسط الأشجار وهو يلهث وقد تصبب جسمه عرقًا. وأرجعها إلى الكهف ثانية.

وبعد دقائق وهو يحاول تهدئتها، رجعت إيملي وقالت:

- كل شيء على ما يرام، والتيار الكهربي بالمنزل، لقد تركت النافذة مفتوحة وعملت كل شيء.

قال:

- إيملي.. لقد حاولت أنجل الهرب باللعب، وأمسكتها بيدي في المنحدر قرب المنزل، ولكنها صرخت.. ولا بد أن رجل البوليس قد سمع الصرخة.. واللعب هناك.

- وهكذا تركتها تهرب.. لقد حذرتك.

– أسرعي يا إيملي.. وأحضري اللعب.. وإذا كان رجل البوليس هناك.. قولي له أي شيء.

– حسنًا.. سأذهب بسرعة.

واختفت.. وبعد عشر دقائق رجعت حاملة اللعب، وقالت:

– كل شيء على ما يرام.. لقد أحضرتها.

وألقتها على الأرض، وصرخت أنجل وقالت إيملي:

– ورجل البوليس.. كان هناك، وكان واقفًا ينظر إلى اللعب وقال: ما هذا؟ لقد تشاجرت أنا وأنجل بسبب هذه اللعب.. وكل شيء على ما يرام الآن، وقد صدقني.

وعند الساعة الثانية عشر ونصف الساعة رجع الأطفال ومعهم الأدوات اللازمة لإصلاح الجهاز، فثبتها جون في جهاز التسجيل. سيكون كل شيء على ما يرام بعد كل ما حدث.. حتى أنجل قد هدأت بعد أن أخذت لعبها إلى ركن هناك.. وتناولوا الغداء وبدأت الآن مهمة ليوري.. وأصرت إيملي على أن تبقى لكي تحرس أنجل، ويذهب بك إلى فيكي ووافق جون. وعند الساعة الرابعة أرسله، وبعد دقائق قليلة التقط جهاز التسجيل.

وقال:

– حسنًا يا إيملي.. راقبي أنجل.. وأنت يا ليوري تعرف ما ستفعل.. تذهب من هنا في الساعة الرابعة والنصف حسب ساعة إيملي فتصل إلى منزل آل مورلند في الساعة الخامسة. وإذا قابلتك

مسز مورلند على الباب، وليس المستر مورلند، قل إن لديك رسالة خاصة من آل كاري إلى المستر مورلند.

- أن يأتي لصيد السمك غدًا.

- نعم.. وحينما يأتي وتؤدي الرسالة، تكون قد أخرجت «دلاية» السوار وأخذت تلعب بها.. وتأكد أنه يراها.. أمسكها بيدك بحيث تكون ظاهرة.. هل فهمت؟

ابتسم ليوري، وقد نظر إلى «الدلاية» وهي في كفه وعليها حرف «ل» وقال:

- إنها أكبرها جميعًا.

- نعم يا ليوري.

وقف جون ينظر إلى الأطفال، كل شيء معد تمامًا.. لم ينس شيئًا. وخرج من الكهف حاملًا جهاز التسجيل.

وحينما أخذ يمشي وسط الغابة بدأت الشكوك تساوره، هل التوقيت مضبوط؟ إن منزل آل كاري أقرب إلى منزل آل فيشرز من منزل آل مورلند.. يجب أن تكون فيكي هناك قبل جوردون بحوالي نصف ساعة، هذا إذا أتى جوردون في الحال.. كلا.. إن التوقيت مضبوط.. يمكن أن يسمع فيكي الشريط أولًا وهذا يكفي.. ثم يأتي جوردون بعد ذلك.

استغرق وقتًا أطول مما كان يتوقع، وهو يتسلل وسط الغابات متجهًا إلى الجزء الخلفي من منزل آل فيشرز حتى وصل إلى هناك.

وكان المنزل مهجورًا، فذهب مباشرة إلى سلالم الشرفة المكسوة بالأشجار المتسلقة واختبأ فيها. وكان الصندوق هناك، وكانت نافذة غرفة جلوس الأسرة مفتوحة قليلًا، كما تركتها إيملي، ففتحها بسهولة وقفز إلى غرفة جلوس الأسرة. وكانت النوافذ الأمامية للمنزل تطل مباشرة على الطريق، إنه يعرض نفسه للخطر إذا ما سمع أحد المارة صوت الموسيقى.. ولكن ليس هناك مفر من المخاطرة، لن يستمر هذا طويلًا.

وضع جهاز التسجيل على «بيانو» هناك وأوصل التيار الكهربي به، وكان قلبه يخفق كجناح الطائر حينما أخرج الشريط من جيبه ووضعه في الجهاز وأدار المفتاح، فأخذ الجهاز يهدر هديرًا خفيفًا، ولكن لم يسمع صوت.

صدرت منه لعنة، يجب أن يصلح الجهاز، ولكن كيف؟ قطع التيار ووضع الجهاز على الأرض، وأخذ يفحصه بقلق شديد، ربما أدت سقطته من النافذة إلى عطبه، إنه يحتاج إلى مفك، لا بد أن يكون هناك مفك في منزل آل فيشرز.

أسرع إلى المطبخ، أين يضعون أدواتهم؟ فتح الأدراج ولم يجد شيئًا، ركض إلى غرفة «الخزين» ووجد في ركن منها صندوقًا، ووجد مفكًّا فأخذه وأسرع راجعًا إلى غرفة جلوس الأسرة.

نظر إلى ساعته، كانت الخامسة والربع، ستصل فيكي في أي لحظة، إن الأمر يكون خارجًا عن إرادته إذا لم يصلح الجهاز في الوقت المناسب، وانهمك في العمل كأنه محموم، وانتابه القلق وهو ينظر

إلى ساعته، الخامسة والخمس والعشرون دقيقة.. الخامسة والنصف، لقد نصب ليوري الشرك في منزل آل مورلند منذ نصف ساعة.. ماذا حدث لبك وفيكي؟ ماذا يحدث لو أن فيكي غيرت رأيها بعد الحديث مع ليوري وخرجت فلم يجدها؟ واكتسى وجهه عرقًا. لماذا لم يتأكد من مجيء فيكي من قبل؟ من دون شاهد لن يكون للشرك أي قيمة.

ماذا يحدث لو أن جوردون وصل أولًا؟

وفي الساعة السادسة إلا ثلثًا أعاد اتصال الجهاز بالتيار، وقد أصابه اليأس وبدت خطته فاشلة.. ماذا لو أن فيكي قد فقدت الثقة به وأصبحت عدوة له أيضًا.. وحتى لو حضرت أين يقفان بحيث لا يراهما جوردون؟ ربما يكون ذلك وراء الستار المسدل على النافذة الخلفية التي تطل على الشرفة المختفية وسط النباتات المتدلية.

الساعة السادسة إلا ربعًا.. إن هناك خطأ تيقن الآن من ذلك.

وسمع صوتًا صادرًا من بعيد في الغابات وراء المنزل، وتكرر الصوت. وخُيِّل إليه أنها صرخة رجل.. ركض نحو النافذة، أمكنه أن يسمع بوضوح الآن.. هناك بقرب منزله سمع رجلًا يصرخ.. وآخر يصرخ أيضًا:

أهي القرية ثانية؟ أهو ستيف والقرويون؟ الحلم!

وسمع صوتًا خافتًا يقول:

– مستر هاملتون.. مستر هاملتون!

وسمع وقع خطوات سريعة، فاختبأ وراء الستارة، ورأى ليوري

قادمًا نحو المنزل، وهو يقول:

- مستر هاملتون!

أظهر نفسه عند النافذة، فتسلق ليوري وهو يلهث، وقد ظهر الحزن على وجهه وقال:

- يا مستر هاملتون! يا مستر هاملون.. خاب كل شيء.

وتسلق النافذة، وأمسك جون بذراعيه ورفعه إلى الغرفة.

وكان ليوري يلهث وقال:

- لقد ذهبت كما قلت لي.. وفتحت مسز مورلند الباب، ولكن قبل أن أتمكن من إيصال رسالتي قالت:

- ادخل.. ادخل، كلنا هنا وعندنا حفلة.. وأخذتني إلى غرفة جلوس الأسرة، وكان تيمي هناك معهم. كانوا جميعًا هناك، مستر كاري ومسز كاري ومسز ومستر كاري الوالدين.. كانوا جميعًا هناك يشربون الشاي، وكنت ممسكًا بالحلية الذهبية الصغيرة في يدي كما قلت لي، ولم أكن أعرف ما أفعل، ولكنني أظهرتها.. وذهبت إلى تيمي وكان المستر مورلند هناك، وأعطيت تيمي الحلية الذهبية، وقلت إنها له، وإننا وجدنا الصندوق في الشرفة بمنزل آل فيشرز مع الحلي الأخرى والشريط الذي يشبه شريط الآلة الكاتبة، وأخذ تيمي الحلية واضطرب وقال:

- هل وجدتها حقيقة، أم أنها جزء من اللعبة..

وأضاف وهو مضطرب أيضًا:

– لقد قمت بنصيبي في اللعبة، وقد مكثت في المنزل، ولم أخبر أحدًا كما قال جون.. فوقف المستر مورلند مضطربًا وقال:

– جون! هل يقول جون؟! ما هذا؟!

وخاف تيمي.. وأنا.

وكان الخجل يبدو على وجه ليوري، وهو ينظر إلى جون، واستمر في كلامه فقال:

– ولم تكن غلطتي.. لقد فعلت كما قلت لي بأمانة.. ولكن تيمي خاف.. والجميع تزاحموا حوله وهم يقولون: جون.. ماذا تعني بجون؟ وبكى.. جلس هناك وبكى.. وأخذوا يتكلمون معه فأخبرهم بكل شيء.. وبالكهف.. قال إن جون في كهف أنجل، واندفعوا جميعًا وتكلم مستر كاري الوالد بالتليفون مع والد بك. وسمعته وكان تيمي يبكي.. وكان المستر كاري يقول في التليفون: تعالوا في الحال.. جون هاملتون في الغابات.. ولم أنتظر.. جريت ولم يفكروا فيَّ.. وجريت وأخذت دراجتي، وهأنذا قد أتيت.

دوت صرخة أخرى في الغابات، رجع الكابوس ثانية، واختفت فيكي من الصورة. ستيف وأهل القرية في طريقهم إلى الكهف، وسيجدون أنجل هناك.. العدوة.. وستقودهم أنجل إلى منزل آل فيشرز.

ولكن جوردون سمع الحكاية، وسيتسلل بالتأكيد في أثناء الفوضى ويأتي بأي طريقة.. وهناك شاهد.. ليوري سيكون الشاهد.

وكانت الصيحات تدوي في الغابة، فارتمى على الأرض وربط آخر مسمار في الجهاز، وقال ليوري:

- يا مستر هاملتون.. هل فعلت صوابًا؟

- نعم يا ليوري.. إنها لم تكن غلطتك.

ورفع الجهاز إلى «البيانو» ثانية.. ولما شرع في إيصال التيار، تصلبت أعضاؤه فجأة، فقد سمع صوت سيارة قادمة في الطريق الخارجي.

❊ ❊ ❊

جرى إلى النافذة الأمامية مع ليوري، وخبأ الطفل بين الستائر وقال له:

- راقب ما يفعل يا ليوري.. إن هذا أمر بالغ الأهمية.

وازداد صوت السيارة القادمة ارتفاعًا، ثم ظهرت في الطريق، وكانت سيارة آل كاري القديمة.. ووقفت وقفزت منها فيكي وبك، وشعر جون بارتياح عظيم، وجرى إلى الباب الأمامي ناحيتهما.

قال بك:

- لقد أحضرتها.. كانت قد ذهبت إلى منزل آل مورلند، ولكنني أحضرتها.

وكان القلق يبدو على وجه فيكي وقالت:

- جون!

قال:

- أسرعي.. ضعي السيارة في مكان بعيد عن الأنظار.. ثم ارجعي.

وقفت لحظة تنظر إليه متفرسة، ثم أسرعت إلى السيارة وساقتها

ودخل مع بك المنزل. وفي الحال رجعت فيكي تجري، ودخلت من الباب الأمامي وأغلقته وراءها وقالت:

- لقد خبأتها وسط الأشجار. جون.. لقد ذهبوا إلى الكهف.

- إنني أعرف.. ليوري أخبرني.

- وكنت هناك طول الوقت مع الأطفال؟

أخبرها بكل شيء، على حين كانت نظراتها مثبتة على وجهه. وكانت أصواتهم تسمع من بعيد.. هل وصلوا إلى الكهف؟ وهل أخبرتهم أنجل؟

وقال جون:

- سيأتي من أجل الصندوق يا فيكي، وستكونين الشاهدة.

- جوردون؟

- أعتقد أنه جوردون.. ولقد..

قاطعته بصوت حاد:

- اسمع.. إن السيارة قادمة.

سمع هو أيضًا، وقال:

- بسرعة يا ليوري، ويا بك، امكثا عند النافذة الأمامية ولا تدعاه يراكما.. بسرعة.

وأخذ فيكي إلى النافذة الخلفية التي تطل على الشرفة المغطاة بالأشجار، وكان اضطرابه عظيمًا.

وبعد ثوان توقف محرك السيارة، طبعًا لن يأتي بها إلى المنزل، سيترك السيارة بعيدة في الطريق، كأنما كان قادمًا لينضم للجماعة، ثم سيتسلل بين الأشجار.

وكانا واقفين، متصلبين بجانب الجدار، وقد جعل الصمت المطبق الأصوات الصادرة من الغابة كأنها قرع الطبول.

وهمس:

- بك.. هل ترى شيئًا؟

- لا.. ولكن السيارة وقفت.

وارتفع صوت ليوري وهو يقول:

- نعم.. إنه هناك، إنه آت بين الأشجار من ناحية اليسار، إنني لا اراه الآن.. ولكنني رأيته.. لقد ذهب.. ذهب خلف المنزل.

نظر جون من وراء الستار، وأمكنه أن يرى الرجل بوضوح الآن، وكان يجري متجهًا إليهم.

ولم يكن جوردون.. كان براد!

وشعر جون أنه يكاد يُغمى عليه، وطوق فيكي بذراعه.. فابتسمت له بسرعة، وكان فمه جافًّا، وضغط بذراعه حول وسطها، وظهر براد في الخارج على بعد أقدام قليلة منهما.

شعر جون بجسد فيكي يتصلب، وتردد براد لحظة وهو ينظر حوله بخوف، ثم اتجه مباشرة إلى سلالم الشرفة، وأخذ يبحث وسط الأشجار المتدلية، وأخرج يده وهي ممسكة بالصندوق.

وقف هناك في ضوء الشمس وفتح الصندوق، وأخذ الشريط ووضعه في جيبه، ثم وضع الصندوق في مكانه.

وبينما كان جون يرقبه في ألم وذعر، رجع وهو يركض في اتجاه الأصوات الصادرة من الغابات.

وفكر.. براد! لقد انهار كل ما بناه عن لندا وجوردون.. ولكن براد كان معه في نيويورك طول الوقت.. لا يمكن أن يكون براد.

نظر إلى فيكي تستبد به الحيرة.. وكان وجهها متغيرًا.. وبدت محطمة بائسة، وكان الأطفال قد ركضوا إليهم.

وقالت فيكي فجأة بصوت فيه قسوة ووحشية:

- أسمعني الشريط.. وسنعرف جميعًا.

أوصل التيار بالجهاز فسمعت موسيقى في الغرفة، وظل لحظة ينظر إلى وجه فيكي، وقد تجلى فيه الرعب وصاح بك:

- إنهم آتون.. كلهم.. إنهم آتون.. إنهم بوب ومستر كاري وجورج هانس وغيرهم.. ومعهم بنادق. إنهم...

وأراد جون أن يوقف الجهاز، فقالت فيكي:

- لا.. دعه يعمل.

وأبعدت يده عنه وساروا جميعًا إلى النافذة، وشاهدوا حوالي عشرين رجلًا قادمين من ناحية الغابات إلى السهل المحيط بالمنزل. ورأى جون ستيف ريتر ومستر كاري العجوز. وكان بعضهم يحمل البنادق، ورأى وراءهم جوردون مورلند وبراد، وبينهم أيضًا إيملي تجري.

لم يهتم بكل ما رآه، ولم يتألم كما تألم بسبب فيكي.. وأصبح الرجال الآن في السهل.. وكان يقودهم ستيف والمستر كاري.

وزأر ستيف وردد الآخرون زئيره:

- جون هاملتون.. جون هاملتون.

قال: إنني خارج.

قالت فيكي:

- هل أنت مجنون؟ سيطلقون عليك النار.. دعني أخرج، نعم يا جون.. امكث هنا.. ودعني أنا أخرج.

وتشبثت أصابع فيكي بذراعه، ثم ركضت مبتعدة عنه إلى الخارج، وسمع الباب يفتح، ورآها تجري متجهة ناحية الرجال.. ووراءه كان الجهاز يردد الموسيقى. وركضت فيكي مباشرة إلى ستيف ووالد زوجها، وانضم إليهم جوردون مسرعًا، وتقدم براد ببطء وتثاقل.

وقال بك:

- جون.. هل سينالونك.. ماذا ستفعل؟

- كل شيء سيكون على ما يرام يا بك.

وكانت فيكي تتكلم بسرعة مع ستيف، ورجعت إلى المنزل يتبعها ستيف والمستر كاري وجوردون مورلند وبراد وبعض أهالي القرية، ورأى جون إيملي تجري وهي تنظر مباشرة إلى المنزل، ثم اندفعت داخلة مع الآخرين، ولكن أحد الرجال منعها ودفعها إلى الخارج.

وازدحمت الغرفة بفيكي والرجال والموسيقى تدوي في أرجائها،

وكانت الشراسة تبدو على وجه جوردون مورلند. وكان وجه المستر كاري جامدًا بادي الامتعاض، وكان براد مطرقًا، وكان ستيف يبتسم ابتسامته الصفراء الماكرة، وقد وقف يرقب جون وهو ينظر ناحية الجهاز.

– وهكذا ضحكت علينا.. أنت والأطفال.. ماذا تريد أن تقول؟ أهذا هو الشريط الذي تتكلم عنه؟

– نعم.

– ما معناه؟ فيكي تقول إنه يثبت أنك لم تقتل زوجتك.. ولكنني لا أسمع شيئًا.. ماذا تثبت هذه الموسيقى؟

نظر جون إلى فيكي.. هل تكلمت عن براد؟ فنظرت إليه بشفقة وعطف.

وقالت:

– انتظر يا ستيف.. ستعلم.

وانتهت الموسيقى.. ووقف جون وقد غرست أظافره في راحتي يديه.. ولم يسمع شيء الآن.. وظلت العيون البراقة المهددة تتطلع إليه.

وبدأ الجهاز يئز أزيزًا خافتًا.. ولم يكن بالشريط شيء.. وتطلع جون إلى براد، وكان بجانب النافذة، وقد بدا على وجهه لون أبيض مشوب بالزرقة.

ومرت لحظة صمت لم يسمع فيها غير أزيز الجهاز، وفجأة

سمعت ضحكة مدوية، كأنما شخص يضحك في الغرفة.. وكانت ضحكة لندا، وسمع صوت لندا بعد ذلك ناعمًا حنونًا وهي تقول:

– اطمئن يا حبيبي.. واسترح.. لن يرجع قبل ساعات. إنه ينسى نفسه حينما يكون مع الأطفال.. ومن مزاياه، أنه يتأخر كثيرًا في الخارج.. آه يا حبيبي.. إن الخاتم جميل.. ولكن يجب عليك ألا تسرف هكذا! إنك مجنون لأنك أنفقت كل هذه النقود.

وسُمع صوت براد بعد ذلك يقول:

– إن هذا لا يساوي شيئًا.. وأنت تعرفين هذا يا لندا.. ما دام يسعدك. يا إلهي.. إنني أضطرب حينما أفكر فيما عليك أن تتحمليه.

– ليس الأمر بالغ السوء الآن، ما دمت قد أصبحت لي يا براد، لو تعرف كم أنا في حاجة إليك.

– إن حاجتي إليك لا تقل عن حاجتك إليَّ.

– يا حبيبي.. هل تعني هذا؟ هل حقيقة تعني هذا؟

– طبعًا أعنيه.

وضحكت لندا مرة ثانية، وكانت ضحكة مخيفة. وكان جون لا يزال يتطلع بعينيه إلى فيكي وهي تنقل النظر من ستيف إلى براد.

– ولكن الأمر مختلف معك.. فمعك فيكي.

– لا تتكلمي عن فيكي.

– ولكن هل يمكن أن أحتمل هذا الوضع، على حين أنت متزوج بها.

– لندا.. من فضلك.. لقد أخبرتك عن الصفقة الخاصة بفيكي.

– آه.. إنني أعرف.. كم أنا غبية.. ولكن أخبرني مرة ثانية يا حبيبي.. إن هذا يعزيني ويساعدني حينما تخبرني.. إنه الشيء الوحيد الذي يمنحني القوة.. هل ما قلت صحيحًا.. عن أنك لا تحبها؟

– أحبها! كيف تقولين هذا؟ إنني لا أحبها أبدًا، إنها منذ البداية لم تكن تهمني في شيء.. لقد أخبرتك أنه والدي.. كانت الطاحونة في حالة سيئة، وكان مثقلًا بالديون، وعمل والدي كل ما في وسعه لكي ينقذ نفسه، ثم جاءت فيكي بكل تلك النقود، وقال والدي إنها هبة من السماء، وأنني إذا تزوجتها أمكننا أن ننقذ الطاحونة، وإذا لم أفعل دخل كلانا السجن. لندا.. يجب أن تصدقيني أنني لا أهتم بها، وهي لا تضرنا في شيء أبدًا.

وبحركة فجائية قوية قفزت فيكي في الغرفة، وسحبت السلك وقطعت التيار، ثم دارت حول نفسها، وكانت عيناها تلمعان ووجهها كُسِيَ لونًا أبيض. ونظرت لحظة طويلة إلى براد ثم إلى ستيف ريتر وقالت:

– لقد سمعتم.. والآن أنتم تعرفون.. لقد نصب جون شركًا بشريط، وقد سقط براد في الفخ.. لقد رأيته يا جون.. لقد رأيته أمسك بالصندوق وأخذ الشريط.

وجرت في الغرفة ووضعت يدها في جيب براد، وأخرجت الشريط الآخر.

وقالت:

- هذا هو.

وبينما كان جون يرقب كل ذلك، لاحت له صورة لندا المتوحشة آكلة لحوم البشر.. وهي تأكل براد كما أكلته هو.. ولم تتردد في تنفيذ فكرتها الجهنمية بأن تسجل لبراد اعترافًا تكبله به إلى الأبد، اعترافًا بعلاقة آثمة.. وبزواج مبني على المصلحة.

وكان الرجال واقفين وقد ساد بينهم صمت عميق، ينقلون النظر من فيكي إلى براد.. وأخيرًا بلل ستيف ريتر شفتيه الجافتين بلسانه، وقال:

- وهكذا تريدين أن تقولي يا فيكي إنه لما وقع براد في شرك لندا.. وجذبته إلى الأعماق، أراد أن يتخلص...

وإذ ذاك تحرك المستر كاري، وكان واقفًا متصلبًا في ذلك الوقت، وقد استبد به الغضب، وقال:

- إنك سمعت الاتهام الذي تحاول أن تلقيه على ابني.. وتعرف أن هذا كلام «فارغ»، كيف أمكن أن يقتل ابني مسز هاملتون ويدفنها تحت الأسمنت؟ أفي الصباح حينما كان هاملتون لا يزال في المنزل؟ غير معقول.. وبعد ذلك رحل إلى نيويورك، أرسلته أنا نفسي إلى هناك لعمل.. وكان هناك طوال الوقت، وهاملتون هنا شاهد على ذلك.

ونظر إلى جون وقال:

- أليس هذا صحيحًا؟ ألم يكن براد معك طول الوقت؟

وكان جون لا يزال ينظر إلى براد الواقف بجانب النافذة، وقد انحنت كتفاه وأخذ ينظر إلى الأرض.

وقال:

– بلى.. يا مستر كاري، كان معي في نيويورك.

انطلقت كلمات فيكي كالقنبلة وهي تقول:

– ولكنه أخذ الشريط.

نظر المستر كاري إليها نظرة مخيفة، وقال:

– يمكنك أن تقولي لهم لماذا أخذه.. ألا يمكنك يا فيكي؟ يمكنك أن تخبريهم.. أو تريدين مني أن أخبرهم.

ووقف الاثنان ينظر كل منهما في وجه الآخر، وكأنهما متبارزان يستبد بهما الحقد والكراهية.

وإذ ذاك قالت فيكي بصوت هادئ:

– ليست لديَّ أي فكرة عما تتحدث عنه.

– ليست لديك أي فكرة! تقولين هذا لأنك لم تعرفي أنني كنت مصغيًا في منزل آل مورلند.. لم تعرفي أنني سمعتك حينما سحبت براد جانبًا، وقلت له: اذهب إلى منزل آل فيشرز وأحضر الصندوق.

وأشار المستر كاري إليها بأصبعه متهمًا وقال:

– لقد قتلت المرأة التي حالت بينك وبين زوجك، والآن تحاولين إلقاء تبعة الجريمة على زوجك! ولكنك قد فشلت.

وتبع ذلك هدير، وشعر جون بنبضه يشتد. إن كل شيء يسير في طريقه من الظلام إلى النور الآن.

وكان ستيف ريتر يحملق في وجه فيكي، وكانت واقفة متصلبة، وقد بدا عليها الغضب والدهش.

اتجه ستيف بنظره إلى جون الذي قال:

- ستيف.. علينا أن ننتهي من كل ذلك.

- ننتهي! مع فيكي!

- إن الذي تحدث بالتليفون مع المتجر لكي يحضر الأسمنت منتحلًا اسمي.. لا بد أن يكون هو القاتل.. أليس كذلك؟

- بالتأكيد.. بالتأكيد.. أظن ذلك.

- لقد تكلم في الساعة التاسعة صباحًا، ويتذكر الرجل الذي في المتجر ذلك بوضوح، وحتى إذا تصورت أن فيكي يمكنها أن تقلد صوت رجل، فلا يمكن أن تكون هي التي تكلمت، إنها كانت في ذلك اليوم في البحيرة تصطاد السمك مع ليوري منذ الفجر، ولم يرجعا إلا بعد الساعة العاشرة.

ونظر إلى ليوري، وكان مع بك وراء جوردون مورلند، وقال:

- أليس هذا صحيحًا يا ليوري؟

قال:

- بلى.. كنا نصطاد السمك.

– إذن فما الداعي لهذا الاتهام الكاذب لفيكي؟ إنكم تعرفون الآن.. أليس كذلك؟ كل واحد يعرف، ليس هناك أي شك الآن.

وجاءت اللحظة الحاسمة حينما اتجه جون إلى براد، وقال:

– وأنت.. تقف هناك ساكنًا وتدعه يتهم فيكي ولا تحرك ساكنًا، لقد قررت لندا أن تتزوجك، أليس كذلك؟ ولهذا سجلت هذا الشريط، ولقد هددتك به، واستبد بك الخوف حتى خرجت عن طورك.

ولكن هناك الوالد.. دائمًا.. الوالد الذي اختار الزوجة الغنية لك، الوالد هو الذي ينقذك من بين براثن لندا.

ذهبت إليه.. أليس كذلك؟ بعد أن هددتك لندا آخر مرة في حفلة عيد ميلاد فيكي.. ثم تحادثت معه طويلًا واعترفت له بكل شيء.. وقلت: إنني في مأزق حرج.. إنه ليس زواج مصلحة فحسب، بل إنها شركة، وأنك استعملت نقود فيكي لكي تنقذ نفسك.

وكنت فزعًا، أليس كذلك؟

ولكن الوالد لم يكن كذلك.. وقال لك: دع هذا لي يا براد.. اذهب إلى نيويورك، بعيدًا عن الطريق وحينما ترجع...

وتوقف جون وغضبه يزداد اشتعالًا، ثم استمر في كلامه فقال:

– وبعد ذلك.. رجعت.. ولم تكن متيقنًا.. ظننت أنني قمت بهذا العمل بدلًا من والدك.. واعتقدت أنها معجزة لإنقاذك، وقال لك والدك إنه لم يفعل شيئًا وليست لديه أي فكرة عما حدث للندا.

لم تكن متيقنًا.. وكنت متحيرًا، هل فعل الوالد ذلك؟ هل هو أهل

لهذا العمل؟ ولقد كلفني الذهاب إلى الاجتماع للتصويت.. فعل ذلك وهو يأمل أن ينتهي كل شيء معي في الاجتماع.

وعبر جون الغرفة، وأمسك ببراد من ذراعه، وقال:

- أخبرهم.. أخبرهم.. من أرسلك لكي تحضر الشريط من الصندوق؟

نظر براد إلى أعلى، وكان منظر وجهه يدعو إلى الشفقة، وأخرج لسانه من فمه يحاول أن يبلل به شفتيه الجافتين.

وقال:

- لا أعلم.. لم أفعل.

ارتفع صوت المستر كاري عاليًا مهددًا، وقال:

- براد.. براد.. لا تدعه...

قاطعه جون وهو يصيح:

- من أرسلك لكي تحضر الصندوق؟

أخذ براد ينظر إلى والده وإلى جون، ثم تصلبت رقبته وهمس:

- إنه والدي، أرسلني. كان عليه أن ينتظر ستيف ريتر.. قال إنني يجب أن أذهب، ولكنني لم أكن أعرف، لم يقل لي لماذا أحضر ذلك الصندوق.. قال إنني..

أحاط ستيف وأهل القرية بالمستر كاري، واتجه براد نحو زوجته وقال:

- فيكي!

ولكنها لم ترد عليه بكلمة، وتركته وسارت إلى قرب النافذة.

وفكر جون، لقد انتهى كل شيء.

صمت المستر كاري، وكان صمته اعترافًا.

وذهب جون إلى فيكي وكانت لا تزال بقرب النافذة تنظر إلى الرجال تارة وإلى الغابات المحيطة بمنزل آل فيشرز تارة أخرى، ووضع يده برفق على كتفها، وتحولت إليه ناظرة برفق، وشعر بالشفقة والعطف يغمران قلبه نحوها.

لندا.. المستر كاري، لقد كاد يذهب ضحية ماردين جبارين، وكادت فيكي تكون ضحية لهما كذلك.

وشعر جون بلمسة في كم قميصه، وسمع صوتًا ينطلق باسمه ونظر حوله، ورأى إيملي تحملق فيه بعينيها السوداوين وتقول:

- أنجل أخبرتني، لم أستطع منعها، ولما جاءوا، أخبرتهم أنجل.. آه يا جون.. كل شيء انتهى على ما يرام.

وكانت يده لا تزال على كتف فيكي، وطوق إيملي بذراعه الأخرى، وقال:

- نعم.. يا إيملي، انتهى كل شيء إلى خير خاتمة.

«تمت»